١

الأمة ومسار المستقبل

للشاعر

١) شعر

قصائد أولى ، ط١ ، دار مجلة شعر ، بيروت ، ١٩٥٧ ؛
ط٣ ، دار العودة ، بيروت ، ١٩٧٠ ؛
ط٤ ، دار العودة ، بيروت ، ١٩٧١ ؛
طبعة جديدة ، دار الآداب ، بيروت ، ١٩٨٨ .

أوراق في الريح ، ط١ ، دار مجلة شعر ، بيروت ، ١٩٥٨ ؛
ط٢ ، دار مجلة شعر ، بيروت ، ١٩٦٣ ؛
ط٣ ، دار العودة ، بيروت ، ١٩٧٠ ؛
ط٤ ، دار العودة ، بيروت ، ١٩٧١ ؛
طبعة جديدة ، دار الآداب ، بيروت ، ١٩٨٨ .

أغاني مهيار الدمشقي ، ط١ ، دار مجلة شعر ، بيروت ، ١٩٦١ ؛
ط٢ ، دار العودة ، بيروت ، ١٩٧٠ ؛
ط٣ ، دار العودة ، بيروت ، ١٩٧١ ؛
طبعة جديدة ، دار الآداب ، بيروت ، ١٩٨٨ .

كتاب التحولات والهجرة في أقاليم النهار والليل ،
ط١ ، المكتبة العصرية ، بيروت ١٩٦٥ ؛
ط٢ ، دار العودة ، بيروت ، ١٩٧٠ ؛
طبعة جديدة ، دار الآداب ، بيروت ، ١٩٨٨ .

المسرح والمرايا ، ط١ ، دار الآداب ، بيروت ،
طبعة جديدة ، دار الآداب ،

وقت بين الرماد والورد ، ط١ ، دار العودة ، بيروت ، ١٩٧٠ ؛
طبعة جديدة ، دار الآداب ، بيروت ، ١٩٨٠ .

هذا هو اسمي ، دار الآداب ، بيروت ، ١٩٨٠ .

مفرد بصيغة الجمع ، ط١ ، دار العودة ، بيروت ، ١٩٧٧ ؛
طبعة جديدة ، دار الآداب ، بيروت ، ١٩٨٨ .

كتاب القصائد الخمس ، ط١ ، دار العودة ، بيروت ، ١٩٧٩ .
كتاب الحصار ، دار الآداب ، بيروت ١٩٨٥ .
شهوة تتقدم في خرائط المادة ، دار توبقال للنشر ، الدار البيضاء ، ١٩٨٧ .
احتفاءً بالأشياء الغامضة الواضحة ، دار الآداب ، بيروت ، ١٩٨٨ .
أبجدية ثانية ، دار توبقال ، الدار البيضاء ، ١٩٩٤ .
الكتاب I ، دار الساقي ، بيروت ، ١٩٩٥ .

٢) الأعمال الشعرية الكاملة

ديوان أدونيس ، ط١ ، دار العودة ، بيروت ، ١٩٧١ ؛
ط٢ ، دار العودة ، بيروت ، ١٩٧٥ ؛
ط٣ ، دار العودة ، بيروت ، ١٩٧٩ .

الأعمال الشعرية الكاملة ، دار العودة ، بيروت ، ١٩٨٥ ؛
ط٥ ، دار العودة ، بيروت ، ١٩٨٨ .

٣) دراسات

مقدمة للشعر العربي ، ط١ ، دار العودة ، بيروت ، ١٩٧١ ؛
ط٥ ، دار الفكر ، بيروت ، ١٩٨٦ .
زمن الشعر ، ط١ ، دار العودة ، بيروت ، ١٩٧٢ ؛
ط٥ ، دار الفكر ، بيروت ، ١٩٧٩ .

الثابت والمتحول ، بحث في الاتباع والإبداع عند العرب :
الطبعة السابعة (طبعة جديدة ، مزيدة ومنقحة ، في أربعة أجزاء) :
١ـ الأصول ،
٢ـ تأصيل الأصول ،
٣ـ صدمة الحداثة وسلطة الموروث الديني ،
٤ـ صدمة الحداثة وسلطة الموروث الشعري ،
(دار الساقي ، ١٩٩٤) .
فاتحة لنهايات القرن ، الطبعة الأولى ، دار العودة ، بيروت ، ١٩٨٠ .
سياسة الشعر ، دار الآداب ، بيروت ، ١٩٨٥ .
الشعرية العربية ، دار الآداب ، بيروت ، ١٩٨٥ .
كلام البدايات ، دار الآداب ، بيروت ، ١٩٩٠ .
الصوفية والسوريالية ، دار الساقي ، بيروت ، ١٩٩٢ .
النص القرآني وآفاق الكتابة ، دار الآداب ، بيروت ، ١٩٩٣ .
النظام والكلام ، دار الآداب ، بيروت ، ١٩٩٣ .
ها أنت أيها الوقت ، دار الآداب ، بيروت ، ١٩٩٣ .
(سيرة شعرية ثقافية) .

٤) مختارات

مختارات من شعر يوسف الخال ، دار مجلة شعر ، بيروت ، ١٩٦٢ .
ديوان الشعر العربي :
الكتاب الأول ، المكتبة العصرية ، بيروت ، ١٩٦٤ .
الكتاب الثاني ، المكتبة العصرية ، بيروت ، ١٩٦٤ .
الكتاب الثالث ، المكتبة العصرية ، بيروت ، ١٩٦٨ .

مختارات من شعر السياب ، دار الآداب ، بيروت ، ١٩٦٧ .
مختارات من شعر شوقي (مع مقدمة) ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ١٩٨٢ .
مختارات من شعر الرصافي (مع مقدمة) ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ١٩٨٢ .
مختارات من الكواكبي (مع مقدمة) ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ١٩٨٢ .

مختارات من محمد عبده (مع مقدمة)، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٨٣ .
مختارات من محمد رشيد رضا (مع مقدمة)، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٨٣ .
مختارات من شعر الزهاوي (مع مقدمة)، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٨٣ .
مختارات من الإمام محمد بن عبد الوهاب، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٨٣ .
(الكتب الستة الأخيرة، وضعت بالتعاون مع خالدة سعيد)

٥) ترجمات

مسرح جورج شحادة

حكاية فاسكو، وزارة الإعلام، الكويت، ١٩٧٢ .
السيد بوبل، وزارة الإعلام، الكويت، ١٩٧٢ .
مهاجر بريسبان، وزارة الإعلام، الكويت، ١٩٧٣ .
البنفسج، وزارة الإعلام، الكويت، ١٩٧٣ .
السفر، وزارة الإعلام، الكويت، ١٩٧٥ .
سهرة الأمثال، وزارة الإعلام، الكويت، ١٩٧٥ .

الأعمال الشعرية الكاملة لسان جون بيرس،
منارات، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق، ١٩٧٦ .
منفى، وقصائد أخرى، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق، ١٩٧٨ .

مسرح راسين

فيدر ومأساة طيبة أو الشقيقان العدوان، وزارة الإعلام، الكويت، ١٩٧٩ .

الأعمال الشعرية الكاملة لإيف بونفوا، وزارة الثقافة، دمشق، ١٩٨٦ .

الأعمال الشعرية

اغاني مهيار الدمشقي

وقصائد أخرى

أدونيس

الأعمال الشعرية

أغاني مهيار الدمشقي

وقصائد أخرى

المدى

منشورات

١/١١	المدى	شعر

Auther: ADONIS
Title : The Poetical Works, I
Al Mada : Publishing Company
First Published in 1996
Copyright © Al mada

اسم المؤلف : أدونيس
عنوان الكتاب : الأعمال الشعرية/أغاني مهيار الدمشقي وقصائد أخرى
الناشر : دار المدى للثقافة والنشر
تاريخ الطبع : ١٩٩٦
الحقوق محفوظة

دار المدى للثقافة والنشر

سوريا - دمشق صندوق بريد : ٨٢٧٢ أو ٧٣٦٦
تلفون : ٧٧٧٢٠١٩ - ٧٧٧٦٨٦٤ - فاكس : ٧٧٧٣٩٩٢
بيروت - لبنان صندوق بريد : ٣١٨١ - ١١ فاكس : ٤٢٦٢٥٢ - ٩٦١١

Al Mada : Publishing Company F.K.A.
Nicosia - Cyprus , P.O.Box . : 7025
Damascus - Syria , P.O.Box . : 8272 or 7366 . Tel: 7776864 ; Fax: 7773992
P.O. Box : 11 - 3181 , Beirut - Lebanon, Fax : 9611- 426252

إشارة

آثرتُ أن أنشر أعماليَ الشعرية بترتيبٍ آخر: القصائد القصيرة في مجلد، والقصائد الطويلة في مجلد، والنصوص غير الموزونة في مجلد.

يتخلى هذا الترتيب عن التتابع الزمني، وفاءً لتتابع البنية والإيقاع. إنه ترتيب ينحاز إلى السياق التشكيلي ـ الفني الذي يتأسس فيه النص، وليس إلى تسلسل زمن كتابته أو نشره.

هكذا تقطع هذه الطبعة كلياً مع الطبعات السابقة من هذه الأعمال، إضافة إلى أنها تنسخها.

وهي، إذن، المعتمَدة، وحدها.

باريس، نيسان ١٩٩٦

أدونيس

قصائد أولى

(1955-1949)

قالت الأرض

(مقاطع)

ـ ١ ـ

قالت الأرض في جذوريَ أبادٌ
حنينٍ، وكلُّ نَبْضي سؤالٌ
بيَ جوعٌ إلى الجمال، ومن صدريَ
كان الهوى، وكان الجمالُ

ـ ٢ ـ

ما ليَ اليوم أستفيقُ، فلا حقلي
نضيرٌ، ولا تلالي زواهِرْ
لا النّواطير يسمرون مع النّجم
ولا الضوء راتعٌ في المحاجِرْ
أنا كنزٌ مخبّأٌ، أين أبنائي
فكلّي صوتٌ، وكلّي حناجِرْ.

- ٣ -

ربّما أنهكتْهمْ ضربةٌ عمياءُ

فاستسلموا لها واستلانوا

ربّما أُلبِسوا ثياباً سَرَت فيها

أكسفُ الأوثانِ ، والأوثانُ

ربّما.. ربّما ، كأنّ الحروفَ السود

صُمّتْ في وقعها الآذانُ

فكأنْ لمْ أطلعْ على الأرض ميلاداً

ويُخلَقْ من صدريَ الإنسانُ .

- ٤ -

قُمْ مع الشمس يا شبابي ، وحرّكْ

عالماً ساهِمَ البصيرة ، جامِدْ

أنتَ علّمتَه الحياة قديماً

وستبقى له دليلاً ورائدْ .

- ٥ -

أنا سوّيتُ من عروقيَ أبنائي

وربّيتهم ذرىً وجبالا

يتسامون فالطموح مدىً جدبٌ

ويحيون في الزمان مثالا

أنا سوّيت من عروقيَ أطفالي
وسوّيتُ فيهمِ الأطفالا .

ـ ٦ ـ

مَجّدوني ، تفتّقوا في ينابيعيَ
فيضاً ، وفي ترابي ربيعا
وحدةً نحن ، يضحك القلبُ للقلب
وتَستلْهِمُ الضلوعُ الضلوعا
كم أقَلْنا مُعَثَّرينَ حيارى
واحترقنا على الدروب شموعا
ومَدَدْنا للظامئين نفوساً
فُجِّرت في حياتهم ينبوعا .

ـ ٧ ـ

يَا لتَوقي ، يا عمقَه ، يُخلقُ
المجهول فيه ، وتولد الأيامُ
يمسحُ الوهمَ عن حياتي فلا
الإبهام يلهو فيها ولا الأوهام
بعضيَ الفجرُ ، بعضيَ النور والحبُّ
فما مرّ في كياني ظلامُ
إن أكن نمتُ مرةً ، فلأعماقي

دويٌ مـــجـلــجِــلٌ لا يــنــــامُ .

ـ ٨ ـ

أيّ خلقٍ كالسرّ ، كالحلْم ، كالفتح
يـفـضُّ الـبـعـيـدَ والـمـجـهـولا...
جُـمِّـع الـكـلّ فـيـه ، فـالـخـلـقُ
مـضـفـورٌ عـلـى كـبـريـائـه إكـلـيـلا .

ـ ٩ ـ

حَـمـلـت فـجـرَه بـلادي أنـبـاءَ
حـــيـــاةٍ غَـــلاّبـــةٍ وشـــبـــابِ
قُلْ لـمـن يـحـضـن الـتّـراب ويـلـهـو
بـــفـــراغٍ مُـــطـــرّزٍ بـــالـــتّـــرابِ
أشـرقَ الـعـالَـم الـجـديـدُ ، ومـاتـتْ
خـلـفَـهُ ، جـاهـلـيّـةُ الأحـقـابِ .

ـ ١٠ ـ

يَئِس الـشـعـب مـن مـغـالـبـة الـيـأسِ
فـفـيـه لـلـيـأس بـابٌ عـتـيـقُ
يـتـمـشّـى فـي صـدره قـلـقٌ جـمْـرٌ
وصـــوتٌ مـــجـــرّحٌ مـــخـــنـــوق

جُنٌ فيه السؤالُ ، أين غدٌ
يخلق ما شاءه ، وأين الطريقُ؟
كلّما همَّ أن يثور على القيد
تولاّه خائنٌ أو عَقوقُ
ربَّ صبح أفاق فيه فخَفَّى
خائنيه ، إباؤهُ المستفيقُ .

ـ ١١ ـ

لا نواعيرهُ تدور ، وإن دارت
فبالبؤس والشقاء تدورُ
بيدرٌ يسألُ الحصادَ عن القمح
وحقلٌ يذوي وأرضٌ تبورُ
وعلى أنّةِ العذاب وآه اليُتْمِ
تعلو مرابعٌ وقصورُ
تَشْرئبُّ الذرى على ضجّة الويل
وتشكو إلى الصّخور الصّخورُ .

ـ ١٢ ـ

في الدروب انتفاضةُ الكِبْر
فالخَطْوُ عليها محقّرٌ مرذولٌ
قدَمٌ تكتب الجريمة والبغيَ

فخطواتها دمٌ وقتيل
والقرى صفرةٌ، فقد مسح الخضرةَ
عن وجهها النضير، الذبولُ
كل بيتٍ فيها، شفاهٌ تجمّدْنَ...
فماذا تشكو، وماذا تقولُ؟
يورقُ اليَبْسُ في الصراع، ويحيا
المَيْتُ فيه، ويبطل المستحيلُ!

— ١٣ —

الجبال العتاقُ والصخر والشاطئُ
والزورق المُبدِلُ المغامرْ
صَرخاتٌ مَدىً كأنّ عليه
من جفون التاريخ آلافَ ساهرْ
هي فينا حبٌّ يسائل عن حبٍّ
وماضٍ يلفّ بالمجد حاضرْ
عبثاً، لن تهدّ جلجلةَ البغي
شفاهٌ ندّابة، أو منابرْ
ليس إلا أن ننسجَ الحبَّ راياتٍ
وأن نرفعَ النفوس منائرْ

ـ ١٤ ـ

ها طريقُ الحياة نحن شققْناها
عِـراكـاً وثـورةً وجـهـادا
نتخطّى عنفَ الزّمانِ ونُلقي
صورَ العُنفِ خلفنا أمجادا
ربَّ نورٍ كان الحياةَ لشعبٍ
لمحته عين الظلام سوادا .

ـ ١٥ ـ

لغة الحقِّ أن نموت مع الحقِّ
انتصاراً أو أن نموت انكسارا
ليس عاراً لنا ، إذا ما نُكِبْنا
إنَّ في خفضنا الجِباهَ العارا

ـ ١٦ ـ

يا لذلٍّ يطوي النفوس ويبنيها
عروشاً تتيه ، أو سلطانا
كم مشت حولنا مواكبها السّودُ
جحيماً ، وغلغلت أفعوانا
أيُّ حقٍّ حَنَا الجمالُ عليه
لم يصرْ في ضميرها بهتانا

ما لها ، ما لها يُمزّقُها الحقدُ
جنوناً ، وترتمي خذلانا
لم يَلِن نابُها العتيُّ ، ولكن
لمَحَت في صدورنا الطوفانا .

— ١٧ —

آنَ يا شعبُ أن تزولَ حياةٌ
تتمادى قولاً وقيلاً وقالا
لا يصير التراب حقّاً ولا تُعطي
أكفُّ الرّمال إلا رمالا .

— ١٨ —

أيها الجيلُ أين كبرك يا جيلُ
فهل ماتَ في هواكَ الجهادُ؟
أرضُك الأرضُ لا السنابل آفاقٌ
تهزُّ الرؤى ولا الحصّادُ
أتُرى هدّك العياءُ وأسلمْتَ
قياداً ، فجُنّ فيك القيادُ
كيف تحيا وكلّ أرضكَ أنّاتٌ
حيارى ، وكلّها أصفادُ
أين يا جيلُ ، أين كبرك يا جيلُ

فهل ماتَ في هواكَ الجهادُ

ـ ١٩ ـ

ما علينا قهرُ الصعاب، ولكنْ
علينا أن نقهر المستحيلا
نحن تاريخُنا ونحن لسيالٍ
ضحكت في يمينه إزميلا
فجَّر الكِبْرَ في جوانحنا زيتاً
وألقى جراحنا قنديلا
هَمُّنا أن نمزِّقَ الحُجُب السود
ضياءً، ونكشف المجهولا
كشَفَتْنا الحياة حتى كأنّا
ألفُ جيلٍ منها يعانق جيلا .

ـ ٢٠ ـ

أبداً، نخلقُ الوجودَ ونعطيه
حياةً، كما نرى ونشاءُ
قطرَت في أكفّنا فِلقُ الصّخْرِ
عبيراً، واهتزّتِ الصحراءُ
قيلَ: كنّا، فاخضرّ من شَغَفٍ
حلمُ الليالي، واخضرّت الأشياءُ .

ـ ٢١ ـ

منذ كنّا ، كنّا طغاةً على الذلّ
وكنّا في وجهه ثوارا
نتخطّى عنف الحياة ونُلْقي
خلف خُطْواتِنا الشذى والغارا
فزرعنا عين الوجود جمالاً
وملأنا أعماقه أسرارا
وشمخْنا نلفّ بالعبَق الدنيا
ونبني في جبهة الشمس دارا
سهرت بعدنا النجوم وصارت
لأساطيرِ مجدنا سُمّارا .

ـ ٢٢ ـ

ذاك مجدافنا يسيرُ إلى الشاطئ
في مهرجانه المجتاحِ
لم تُلامِسْ شراعَه رعشةُ اليأس
ولا هزّه ضجيج الرّياحِ
ما روانا دَفْقُ الجراح ، فغينا
لمداها ، تلفّتُ الملتاح
كلما اسْتَيْأسَ الكفاح بصدرٍ
جلجلت تستفزُّنا للكفاح .

– ٢٣ –

ربَّ أمٍّ تمدُّ كفّاً إلى الأرض
وكفّاً لطفلها المقرورِ
لمحت في صراخه لغة القَهْرِ
ورُغْبَ الدنيا وموت الشعور
ورأت في جبينه ثورة الجوع
وأطياف جفنها المذعور
فانحنتْ تأكل التراب وتسْتَفُّ
بقايا موائد وقشور .
وعلى ثغرها رجاءٌ : غداً تخضرُّ
أرضي ، غداً يُضيء سريري .

– ٢٤ –

وغداً تلعب الطفولة بالوردِ
وتنمو حقولنا وتفيض
يملأ الخير أرضَنا ، فإذا الشعبُ
نموٌّ ، وقوّةٌ ، ونهوض
وإذا أرضنا منائر لا تخبو
ودفْقٌ من الشذى لا يغيض
لا مُكِبٌّ على السؤال ولا مُلقىً
على شاسع الدروب مريض

كلُّ فقرٍ يفنى ، ويفنى مع الفقر
زمانٌ جَهْمٌ وكَوْنٌ بَغيضٌ .

ـ ٢٥ ـ

... فإذا الكون كونُنا وإذا الدنيا
شمالٌ لحبِّنا ، ويمينُ
إنَّ خلق الحياة صعبٌ ، ولكن
كلَّ صعب ، إذا أردنا ، يهونُ .

ـ ٢٦ ـ

أنا شئتُ الزمان حلْماً على جفني
وصوتاً مجلجلاً في شبابي
لي غدٌ كلما تَلَمَّسه الليل بباب
أطلَّ من ألف باب
فتحت كفُّه دروبي وأرْسَتْها
على التِّيه ، دفقةٌ من شهاب
أنا وَجْهُ المدَى ، فكلُّ جمالٍ
في فؤادي يحيا وفي أهدابي
كلّما أوْمأ التراب لأجفاني
تمثّلتُ قوّتي في التراب .

ـ ٢٧ ـ

لبلادي أنا ، لثورتها الكبرى
لآفاقها الفِساح البواسِم
لحقول... مواسم ، تزرع الأرض
ربيعاً ، تكلّمي يا مواسِمْ!
ثورةٌ من تفتُّح الذاتِ لا تُطْلِعُ
إلا منائراً وملاحِمْ .

ـ ٢٨ ـ

أنا فيها الفلاّح أزرعها قمحاً
ووروداً ، وأقلع الأشواكا
سكّتي تنطح الصخور ، وتمشي
في الأحافير ، نَشْوةً وعراكا
وحقولي سنابلٌ تفرع النجم
كأنّي زرعت فيها السّماكا
قيِّمٌ باسم أمّتي... لست مقطوعاً
ولا غاصباً ولا ملاّكا
أنا للشّعب... أيها الشعب مُجّدتَ
فإنّي في كلِّ شيءٍ أراكا .

ـ ٢٩ ـ

أنا فيها الراعي... أطوف وأغنامي
ذراها وغابها ورُباها
ليَ قلبٌ يُحِسُّ خلْج المجاهيل
ويصطاد في البعيد الآها
قَلِقٌ، يحرس القطيع وينقضُّ
على الرُّعب، شامخاً تيّاها
ومعي النّايُ ـ جُمّعت فيه آفاق
بلادي: شطآنها وقراها
أطلِعُ اللّحنَ، لحنَها فكأنّي
واضعٌ بين راحتيّ إلهها.

ـ ٣٠ ـ

كلّها في دمي: تراباً وأجواءً
وزهراً، وصبيةً وصبايا
سُوِّيتْ من رحابها الخضر أجفاني
وقُدّتْ جوانحي ويدايا
أنا إنْ متُّ، لا أموت، فقد
ركَزْتُ في جبهة البقاء، خطايا
ربّما عشتُ في مزاميرها لحناً
وغَلْغَلْتُ في ذراها عشايا

كلّها في دمي ، وكلّيَ فيها :
صبيةٌ يعشقونَها وصبايا .

ـ ٣١ ـ

أنا دربي طويلةٌ كَغَدٍ يُقْبِلُ
كالكون ، في مداه الطويلِ
أنا دربي خضراءُ ، لوّنها قلبي
وغطّى جراحها تقبيلي
أنا دربي وَثْبٌ على الموت خَطّافٌ
وغَذٌّ في المغلق المجهول
أنا جيلٌ في امّتي ، وأنا فردٌ
من الجيل ، بل أنا كلُّ جيل
أينما كنت ، كنت في صدرها أحيا
وفي روحها الكبير الأصيلِ .

ـ ٣٢ ـ

أنا جرحٌ مُضَمّخٌ بالبطولات
وضوءٌ على الذرى مرشوقُ
أنا لي مشرقُ النجوم ومرساها
ولي أُفْقُها الفسيح العميق
وليَ البحرُ ؛ شمسُهُ ودياجيه

ولغزٌ في جانحيه عتيق
أنا لي أمتي : جمالٌ وتاريخٌ
ولي أرضها : غدٌ وطريق
لست وحدي ، فكلّها كلّ ما
فيها ، نداءٌ يضمّني ورفيقٌ .

ـ ٣٣ ـ

أنا فيضٌ من أمّتي وعتيقٌ
مرّ في كونها العتيقِ الجديدِ
مطلَقٌ في كيانها ، فأنا فيها
كيانٌ طَلْقٌ بغير حدودِ
كلّ فردٍ فيها أحِسُّ كأنْ
جُمِّع فيه صدري ، وسال وريدي
إنَّ في الغير بعضَ نفسي ، وفي
الآخر ، شرطاً ومنبعاً لوجودي .

ـ ٣٤ ـ

أنا لي نبضةُ الملايين في شعبي
ولي هذه السّهولُ الفِساحُ
ليَ آهات أمّتي وأمانيها
ولي كبرياؤها والجِراحُ

أنا وردٌ في هذه الأرض نَمّامُ
وعِطْرٌ من أمّتي فوّاحُ .

ـ ٣٥ ـ

آنَ لي أن أَمثّلَ نفسيَ
من ليلٍ أليفٍ ، ومن صباحٍ مُعادِ
آنَ لي أن أكونَ نفسيَ ، أن أُحيا
وجودي ، وأمّتي وبلادي
وأردّ التاريخ شهقة جوعٍ
تتغذّى من قبْضتي وفؤادي .

ـ ٣٦ ـ

من هنا ، من بلادنا ، نحن أقْلعنا
شراعاً ، وموجةً ، وليالي
ومشينا حرفاً على صفحة القلب
وحرفاً على شفاه السؤال
زرعت كبرياؤنا صور الحبِّ
وروداً وسوسناً ودوالي
وملأنا عين الزمان ، فما تبصرُ
إلا كواكباً ولآلي
فإذا نحن لهفة القلب للقلب

وإرثُ الأجيالِ للأجيالِ .

ـ ٣٧ ـ

ها بلادي ، كأنَّ بغدادَ صارت
من ذُرى الشّامِ ، أو غَدت لبنانا
نحن شئنا الدنيا جمالاً وحَقّاً
وخلقنا للعالم الإنسانا

ـ ٣٨ ـ

من رأى الشمس تستفيقُ مع الشّعْبِ
وتشتاقُه مدىً وضياءَ؟
من رآها تنْكبُّ ظمْأى على أرض
بلادي : صخراً وظلاً وماءَ؟
آنَ يا شمس أن نغرّبَ في الأرض
ونُلقي عن صدرها الأعباءَ
عرفَتْنا مراكباً تقهر الموج
وفأساً خلاّقةً خضراءَ
ورأتنا نسير فيها أساطير
ونحيا في قلبها أنبياءَ .

- ٣٩ -

ها رجعنا للْكَشْفِ : تُنْشَرُ آفاقُ
عُصورٍ ، وتنطوي آفاقُ
سُفُنٌ تقحم العباب... ففي اللجّ
دويٌّ مغامرٌ ، خلاّقُ
بعضها سندبانةٌ ، بعضها أرزٌ
وبعضٌ مغامرون رفاقُ
تتغنّى بنا الشواطئ ، فاللحن
شموخٌ ونشوةٌ وانعتاق
كلّما فُضّ مغلقٌ في مداها
جذبتْنا الأبعادُ والأعماقُ..

(1950-1949)

قصائد إلى الموت

يُحبّني الطريقُ والبيتُ
وجرّةٌ في البيت حمراءُ
يعشقها الماءُ

يحبّني الجارُ
والحقل والبيدر والنّارُ

تحبّني سواعدٌ تكدحُ
تفرح بالدنيا ، ولا تفرحُ
ومِزقٌ منثورةٌ من أخي
من صدره المرتخي
يخبئها السنبل والموسمُ
عقيقةً يخجل منها الدّمُ .
كان إلهُ الحبّ مُذْ كنتُ ...
ما يفعل الحبّ ، إذا متُّ؟

أسوار

يضمّنا الموت إلى صدرهِ
مُغامِراً ، زاهِدا
يحملنا سِرّاً على سرّهِ
يجعل من كثرتنا واحِدا .

الشمس

ما أغمضتْ عيناي إلا على
حلْمٍ يسيرُ الموتُ في سيرِهِ
ينام في الظلمةِ مُستغرقاً
ويُطلع الشمسَ على غيرِهِ .

الموت

(مرثيتان إلى أبي)

— ١ —

أبي غدٌ يخطر في بيتنا
شمساً وفوق البيت يعلو سحابْ
أحبه سراً عصياً دفينْ
وجبهةً مغمورةً بالترابْ
أحبّه صدراً رميماً ، وطينْ .

— ٢ —

على بيتنا ، كان يشهق صمتٌ ويبكي سكونْ
لأنّ أبي مات ، أجدبَ حقلٌ وماتت سنونو .

أغنيتان للموت

ـ ١ ـ

كأنّه الموتُ إذا مَرّ بي
يخنقه الصمتُ ،
كأنه ينامُ إن نمتُ .

ـ ٢ ـ

يا يدَ الموت أطيلي حبْلَ دربي
خطفَ المجهولُ قلبي ؛
يا يدَ الموت أطيلي
علّني أكشف كنْهَ المستحيل
وأرى العالمَ قُرْبي .

أغنيات للحب

أوراق

ـ ١ ـ

قالوا : مشت ، فالحقلُ ، من ولَهٍ
متلبِّكٌ ، والقمح يكتنزُ
بُعث التناغم عِبْرَ خُطوتها
والهيدَبى والوَخْدُ والرجَزُ
تُومي فيلتفت الصباحُ لها
من لهفةٍ ، ويُغْتَغُ العنَزُ
ما الوشْمُ؟ ما الخرزُ؟
ما الأقدمون السُّمْرُ؟ لم يلجوا
لُغزاً ، ولا اكتنهوا ولا رمزوا ،
لفتاتها تَخِزُ
وجفونها وَتَرٌ وأغنيةٌ
صيفيّةٌ ، وقميصُها كرَزُ .

ـ ٢ ـ

قال ليَ ، الآن ، صدىً منكِ :
«لا عمرَ للسّرّ الذي يحكي
عنّيَ أو عنكِ» .

ـ ٣ ـ

أحسّكِ فيَّ غريزةَ كَشْفِ
فأربط دَقَّ الثواني بقلبي ، وأعرف ما سيكون ، بِلَهْفي .

ـ ٤ ـ

نَعرف كيف تعشق الفصولُ
نعرف أيَّ لغةٍ تقولُ ـ
يا جهلَها ، ـ الرياحُ والحقولُ .

ـ ٥ ـ

لا ، لا أخافُ ـ
للكِ ما سيُبْتَكَرُ اعترافُ .

بين عينيك وبيني

حينما أغرقُ في عينيكِ عيني ،
ألمح الفجر العميقا
وأرى الأمس العتيقا
وأرى ما لست أدري ،
وأحسّ الكون يجري
بين عينيكِ وبيني .

بيت الحب

(مقاطع)

أحبك ، حتى كأنّ الحياةَ ابتكارٌ لحبّي .
أحبكِ ، والضوء في ناظريكِ انزوى وانغَمرْ
وشعركِ شلاّلُ ثلجٍ على كتفيك انهَمرْ .
كأنّي أجرّ ورائي السّنين وأستنفدُ
وحوليَ في بيتنا سريرك والمقعدُ
ومعطفكِ الأسودُ
ونارُكِ والموقدُ .

سألتكِ ، خلّيه ، خلّي سراجكِ يستسلمُ
ويدفنه المخبأ المظلمُ ،

وقولي لعينيكِ أن تُغمضا
أنا ، الآن ، فجرٌ طويلٌ طويلٌ
تكاد تقول الثواني : مضى .

(15 شباط 1954)

يقولون إني انتهيت

يقولون إنّي انتهيتْ
ولم يبق في مهجتي
سراجٌ ، ولم يبق زيتْ .
أمرّ على الورد ، ما همّه
ضحكتُ له أو بكيتْ؟
وللورد في ناظري
وفي خاطري
صباحٌ محوتُ به وامّحيتْ .
أحبّ أنا ، كم أحبّ جمالي
وأعبد فيه ضلالي
فيا ما هديتُ به واهتديتْ .
ظمئتُ ، متى يا دمي ، يا شبابي
تقول ، ارتويتْ؟
ظمئت إلى موعد
وقفتُ عليه غدي .
ظمئت لقلب فسيحٍ عميقٍ

أفجّرهُ شعلاً في طريقي
وأخزنه في عروقي
وأتركه بين حيٍّ وميْتْ ،
ظمئتُ ، متى يا دمي يا شبابي
تقولُ ارتويتْ؟
يقولون إني انتهيتْ
ولي الأرضُ ، لي زهوها ، ولي كبرُها
تجرّحني راحتاها ويعبدني صدرُها
إذا شوكها عافني تخطّفني زهرُها .
يقولون إني انتهيتْ
ولي الأعصرُ
إذا جئت في بالها تسكرُ .
يقولون إني انتهيتْ
وفي كل دربٍ
يُصفّق لي ألف قلبٍ
ويضحك ظلٌ وبيتْ .
شربتُ أنا كل قلبٍ ،
شربت ، كأنّي انتشيتْ ،
وقلتُ انجبِلْ
يا وجودي ، وكنْ ما اشتهيتْ .

(دمشق 1957/7/7)

حدود اليأس

يأس

ماشٍ على أجفانه سادراً
يجرّه مديدُ آهاتِه
تلطمه الحيرة أنّى مشى
كأنها سُكنى لخُطُواتِه .
عُلّق بالغيب فأجفانُهُ
رمليّةُ الأفْق
كأنما ، من يأسِه ، شمسُهُ
تغيبُ في الشرق .

أغنية إلى الطفولة

(مقاطع)

في السرير القَلِق الدافئِ حُبٌّ
يستفيقُ ،
هو للناس تراتيلٌ ، وللشّمس طريقٌ .
للطّفوله ،
تشرق الشمس خجوله ؛
في خُطاها يَصغر الكون الكبيرُ
ويضيق الأبدُ ،
فلها الأرض غطاءٌ سَرمدُ ،
ولها الدنيا سريرٌ .

أنا بالأمس ، ليَ الآهاتُ بَيتُ
وليَ الفقر سراجٌ والدّمُ النّازف زيتُ .
كنتُ كالظلّ ، كما دار به الفقر يدورُ
قدَمي ليلٌ وأجفانيَ نورُ .
يا طفوله ،
يا ربيعَ الزمنِ الشّيخ وآذار الحياةِ ،

وهَوَى ماضٍ وآتٍ ،
في غدٍ ، أنتِ صراعٌ لا يُحَدّ ،
وطموحٌ لا يُردُّ .
وغداً أنت ميادين بطوله
تُنشِئ الكون وتُبدي وتُعيد ،
فيغنّيك الكفاحُ
وتغنّيك الجراحُ ،
ويغنّيك الدّم البِكْر الجديدْ

يا طفوله
يا هوًى ماضٍ وآتِ
يا ربيعَ الزّمَنِ الشيخِ وآذار الحياة .

بيت

حِكايةُ الأشباحِ في بيتنا
بعدُ ، على شفاهِنا تخطرُ ،
يُخْبِئها المِحراتُ والبيدرُ ؛
فيه تَنَوَّرْنا مسافاتِنا
فيهِ حلمنا بالمجاهيلِ ـ
نقفز من كونٍ إلى آخرٍ
نطيرُ من جيلٍ إلى جيلٍ .

حيرة

ينشر عينيه ويطويهما
حيران ، لا يغفو ولا يستفيقْ
كأنّما يفرُّ من نفسِه
كأنما تجفلُ منه الطريقْ .

المشردون

في أول العام الجديدِ

قالت لنا ،

آهاتُنا ، قالت لنا ،

شدّوا الرِّحالَ إلى بعيد ،

أَوْ فاسكنوا خيمَ الجليدِ

فبلادكم ليست هنا .

نحن الذين على الدّخيل تمرّدوا ،

فتهدّموا وتشرّدوا

أكل الفراغ نداءنا ،

ومشى الأمام وراءنا

أيّامُنا جمدت على أشلائنا ،

وتقلّصت كلماتنا

صارت تعيشُ على الثواني ،

صارت تدور بلا زمانِ .

متشتّتون ، مضيّعون على الدروبِ

صُفْرَ السواعد والقلوب
والجوع كُلُّ ندائنا ،
والرّيحُ بعضُ غطائنا
حتى الصباح يفرّ من آفاقِنا ،
ويغيض في أحداقنا
أقلوبَنا ، رفقاً بنا ، لا تهربي
وتقحّمي عنفَ المصير
في الجوع ، في اليأسِ المَرير ،
وهنا ، على هذا التراب ، تَتَرَّبي
فغداً ، يُقالُ :
من أرضنا طلع النضالُ
ونما على أشلائنا
ونِدائِنا
وعلى تلفّتنا البعيدِ
لغدٍ جديدٍ .

قصائد لا تنتهي

هوى ريشتي

أمسِ ، على أرضين مخضرّتينْ
كتبتُ أشعاريَ في لحظتينْ
وشتتها ، على هوى ريشتي ،
هنا سنونو ، وهنا برعمينْ . . .

فجر

شمسُكَ في مفاصلي
كالثَّلجِ ، كالحريقِ
يا قلقاً يُولد في طريقي
يا فجرُ ، يا رفيقي .

حلم

في مهجتي تحيا معي قصةٌ
أوَّلُها أبعدُ من أن يبينْ
أشمُّ فيها من رُبَى موطني
رائحةَ التفاح والياسمينْ
كأنما حروفها فُجِّرت
من جَبَلٍ صخرٍ وماءٍ معينْ .

يا قصةً تسير بي دربُها
إلى فضاء الزّمنِ الأولِ ،
ما أنتِ إلا حلمٌ مبدعٌ
لِلزّمن المُقْبلِ ،
تهدرُ في صدريَ أسرارهُ
يَبينُ لي فيه الذي لا يبينْ .

أمطار

يُمسِكُ بالمحراث في صدرِه
غيمٌ وفي كفيه أمطارُ ،
محراثُه يفتح أبوابَه
للممكن الأغنى ،
يُبعثر الفجر على حقلِه
يُعطي له معنى .
أمس رأيناه وفي دربِه
من عرَق النهار فوّارٌ ،
يعود للرّاحة ، في صدره
غيمٌ وفي كفيهِ أمطارُ .

العباءة

في بيتنا عَباءةٌ
فصّلها عمْرُ أبي
خَيّطها بالتّعبِ .
تقولُ لي ــ كنتَ على حصيرِهِ
كالغُصُنِ المنجرِدِ
وكنتَ في ضميرِهِ
غدَ الغدِ .
في بيتنا عباءةٌ
مرميّةٌ ، مبعثره
تشدّني لسقفهِ
لطينهِ للحجَره
ألمح في ثقوبها
ذراعه المحْتضنهْ
وقلبه ولهفةً في قلبه مُستوطنه
تحرسني تلفّني تملأ دربي أدعيه
تتركني شَبّابةً وغابةً وأغنيه .

أفقي وعد ...

عابرٌ أحمل أيّامي وبي
ظمأ الرمل وفي خطْوي بحارُ
يا هوىً ضيّعني ، مُرّ على
حيرتي ، مُرّ على شُطآنِها
وسَلِ الأصداف عن كُهّانها
أيّ سرٍّ ليَ في أعماقِها
أيُّ حلْمٍ ليَ في أجفانِها؟
هي في صدري تراتيلُ غَدٍ
وبَخورٌ مُلْهَبُ النار ، ونارٌ ـ

من أنا ، أيُّ هوىً أحيا له؟
أُفُقي وعدٌ وعيناي انتظارٌ .

شرق الجمال

كُلّما مرَّ ببالي
أن أرى شرق الجمالِ
ودعاني الشَفَقُ ،
تمحّي ، عِبْرَ خُطايَ ، الطرُقُ .

قلق

يا ظُلمةً في أُفُقي
يا قَلقي ،
شُدَّ على تجدّدي ومزِّقِ
واعصفْ به وحرِّقِ ،
لعلَّ في رمادِه
أبتكرُ الفجرَ النقي .

في عتمة الأشياء

في عَتْمة الأشياء في سرِّها
أحبُّ أن أبقى
أحبُّ أن أستبطنَ الخَلْقا
أحبُّ أن أشردَ كالظنِّ
كغربة الفنِّ
كالمبهم الغُفْلِ وغير الأكيدْ ـ
أولَدُ في كلِّ غدٍ من جديدْ .

مسيرة

أمشي وتمشي خلفيَ الأنجمُ
إلى غد الأنجمِ
والسرُّ، والموتُ وما يُولَدُ
والتَعَبُ المفْردُ
تُميت خُطْواتي وتُحيي دمي .

أنا الذي لم تبتدئْ دربُهُ
بعدُ، ولم يُرصدْ له مِنْجمُ ـ
أمشي إلى ذاتي
إلى الغد الآتي ،
أمشي وتمشي خلفيَ الأنجمُ .

المخاض

لِمنْ يفتح الفجرُ شُبّاكَ عيني
ويحفرُ فوق ضلوعي طريقَهْ
لِمَ الموتُ ينبض مِلءَ كياني
ويربطُ عُمْري بخفْق الثواني؟
عرفتُ : دَمي رَحِمٌ للزمانِ
وفي شفتيَّ مَخاضُ الحقيقه .

وحدة

وُحِّدَ بي الكونُ فأجفانُهُ
تلبس أجفاني ؛
وُحِّد بي الكون ، بحرّيتي
فأيّنا يبتكر الثاني؟ .

رؤى

(مقاطع)

لِلّيالي فينا غَدٌ ونجومٌ ؛
طَرَفٌ حبُّنا لكلِّ سماءٍ
ومدىً لا نحدّه ، وتخومُ .
للسّوى ، للزّمان تصنع للأفْق دروباً ، وللتراب رداءَ
ونسوّي لكلِّ أرضٍ سماءَ
يا رُؤانا لِلنّاس والأرضِ ــ عينُ الأرضِ تاهَتْ
فَغَيِّري الأشياءَ...

الثلج والدخان

(مقاطع)

قضيبٌ من الثلجِ : نارٌ وتبغٌ
وغيمُ دخانِ
عوالِمُ لا تنتهي -- وهيِ تفنى
بِبضْعِ ثواني .
أوَشْوِشُه كلَّ ما بيَ : ظني وحُلْمي
وما ليس تجرؤ أن تتحدّث عنه دموعي
أغالبُه ، وأنا في غِلابيَ أغنى وأقوى
فأسقط في راحتيه وعند خُطاه الخفيّةِ عضواً فعُضْوا ،
وأعشقه كالفُجاءةِ ، بغتَهْ
بهمْسٍ ، بلفْتَه
لمحتُ وجودي يدبّ إليهِ
على شفتيَّ ، على شفتيهِ ،
فلي في الدُّخَان
دَمي وزماني...

الدرب

(مقاطع)

فِي الحجَرِ التَّائِهِ لونُ القَلَقْ
لونُ خيالٍ سَرَى ، ـ
مَن ، يا تُرى ،
مَرّ هنا واحتَرَقْ .

يحلو لِخَطْوِي اللَّهَبُ الأحمرُ
يحلو له المجدُ
وكلَّما طال به البعدُ
يعلو ويستكبرُ ،
وكلما قلتُ لدربي : تُرى
إلى متى عبءُ السُّرى والسُّرى
متى أرى المشتهى
وأبلغ المنتهى
وأهدأ؟
قالت لي الدَّربُ : هنا أبَداً .

عرّافة

(مقاطع)

حاجبُها كجرسٍ يَرِنُّ
ملآنَةٌ بغيْبي
بواقعي وريبي
بكلِّ ما أُكِنُّ .

تنظرُ ، فالأحاجي
تُضيء كالسّراجِ ؛
كأنها تعلّقَتْ
بِهدُبِ الزمانِ
فَهْيَ مع الصبّاحِ
والغيم والرّياحِ
والصّعبِ والمتاحِ ،
عُقْدةُ كلِّ آنِ .

تُمسِك لي أصابعي وتُحدِقُ
وتُطرِقُ

وتَلِجُ الكهوفا
وتنبشُ الحروفا ـ
ألا اضْحكي ، ألا ابْتسي
ألا اهْمُسي ، ـ
هذي يدي ـ خذي يَدي
خُذي غدي
وفَسّري واجْتهدي
وَوَشْوِشيني واحْذَري
أن تجْهري...

أبعاد غامضة

كلما لَمّتْ يدي أشياءَها
وانْحنَت كالسّنبلِ
كمدىً لم ينْجلِ ،
مَرّ بي ضوءٌ حريريّ الخطى
شائكُ الدّرب ، وناداني سكونٌ ـــ
وأنا بيتيَ في وجه الضّحى
زَهْرَةٌ شاخَتْ ومنقارُ سنونو .

حجر الضوء

على حَجر الضوء أنقش عُمْري
وديعاً كحبّة قَمْح ؛
يُغطّي حروفي ضَبابٌ
وفي كلماتيَ عتْمَه .
لأنّيَ حُبٌّ ،
أظلّ على الضوء أبني ، وتبني
معي حُفنةٌ من حياتي ولُقْمَهْ .

أرض بلادي

أرض بلادي... كنتُ في وعيها
وكنت نجواها وأعماقها ،
أبدؤها ، أعيدُها في دمي
وفي فمي
براعماً ، أوديةً ، أحجرا ،
أنقلها للورى ،
رسالةً تُريه ما لا يُرى .
أرض بلادي قصةٌ لم تزل
تقلبُ كفُّ الكون أوراقها ،
تحملُها الشّمس ، فإن أغْلقتْ
آفاقُها ، تفتحُ آفاقَها...
خلاّقتي ، فأيّ شيءٍ أنا
إن لم أكن بالحبّ خَلاّقَها .

الغد

متى أُرى : لي مشرقٌ جامحٌ
يبتكر الشمس ، ولي مغربُ
متى أرى ، والكون لي ملعبُ
والحبّ والعزّة لي ساعدانْ ؛
قلبيَ للثّورة مستنفَرٌ
دقّاته صارت زمانَ الزّمانْ .

يقين

آمنَ قلبي بأناشيده
بموطني : بالسَّروِ والياسمينْ ،
بكلِّ ما فيه ، بكل الذي
كُوِّنَ من ماءٍ ونارٍ وطينْ ،
بأمَّتي... يولدُ في صدرها
تلفّتُ الدنيا وحلْمُ السنينْ .

ما في دمي إلاَّ مَدَاراتُها
مفتوحةً كالأرض ، مبسوطةً
على الغد الآتي ، على العالمين ،
ما في شراييني غيرُ اليقينْ .

مستقبل الحرية

غداً ، عندما بلادي تغنّي :
«أنا الحبّ يُؤثَر عنّي
بوجهي محوتُ السّوادا
وصرت لكلّ بلادٍ بلادا ـ
فلم يبق في أرضنا ظلامٌ ولم يبق شرٌّ ، ـ
فقل أنا حرٌّ ، وقل أنتَ حرٌّ .

الجدجد

. . . ويقولون إنني لستُ كالغَيْر أَعبُدُ
ليس في جبهتي حصيرٌ وركنٌ ومسجدُ
ويقولون : تائِهٌ ويقولون : جُدجدُ
وتساءلتُ ـ هل تَبخّر في وجهيَ الغَدُ؟
وتذكّرت أنني كنتُ للشمس أُنشِدُ ـ
أنا في الشمس تائِهٌ أنا لِلشمس جُدجدُ .

مواعيد

للهيكل القاذفِ أُنْشودتي
في أبد المسير ، تَمْجيدي
كلّ طريقي سفَرٌ دائِمٌ
وفي المجاهيل مواعيدي .

الأشياء

فيما تنام الأشياء حولي ،
تَهمسُ لي بِاسْمها ، وفيما
تمنحني الحلمَ والأخوَه ،
ترسمُ لي أغنياتي
بلهيبِ النبوَه .

وجاء

يا شعرُ هَبْهُ أن يغنّي مع اليأسِ
ويعتادَ على النهارْ،
أطفأتِ البذورُ في أرضه
شموعَها، واحترقت عشتارْ.

عند نجمين

كلَّ بُرهَةْ
يغسل المجهول وجهه
بصلاتي
بينابيع حياتي .
عند نجمين على مشرق شعبي
عند قلبي ،
يُخبئ العالم كُنْهَهْ .

صورة وصفية

كان في مثل طَلْعة الصبح ـ
عيناه اكتشافٌ ووجههُ تسبيحُ
خلجت مَرّةً يداه ، فمرّت
غيمةٌ وامّحت مع الغيم ريحُ .

حنين

فِيَّ حنينٌ هو غير الحنينْ
غير الذي يملأُ صدر السنينْ
تقتربُ الأشياءُ منه كأنْ
لا تعرف الأشياء إلاّهُ
تقول ـ ما شِيئَتْ لولاهُ ؛

كأنّه أكبرُ من حالهِ
يعلو ويمتدّ ولا يرضى
يريد أن يخرج من نفسهِ
ويحضنَ السماءَ والأرضا .

دروب

أمسي غَدٌ والكونُ ترتيلةٌ
تذوبُ ، ـ في وجهي وحبّي تذوبْ ؛
يولد في عينيَّ معنى الضحى
تبدأ من نفسيَ كلّ الدروبْ

الكاهنة

في جبْهتي كاهِنة أشعلت
بخورها واسْترسلت تحلمُ
كأنما جفونها منجمُ .
كاهنةَ الأجيال ، قولي لنا
شيئاً عن الله الذي يُولدُ
قُولي – أفي عينيه ما يُعبَدُ؟

أعيش مع الضوء

أعيش مع الضوء عُمْري عبيرٌ
يمرّ ، وثانيتي سنواتُ
وأعشق ترتيلةً في بلادي
تَناقَلها كالصباح الرعاةُ ؛
رموها على الشمس قطعةَ فجرٍ نقيٍّ
وصلّوا عليها وماتوا ...
إذا ضحك الموت في شفتيكَ
بكت ، من حنينٍ إليكَ ، الحياةُ .

أوراق في الريح

(1960-1955)

أوراق في الريح

ـ ١ ـ

لأنني أمشي
أدركني نعشي .

ـ ٢ ـ

أسيرُ في الدّرب التي تُوصلُ اللهَ
إلى الستائر المُسدلَةْ
لعلّني أقدر أن أبدلَهْ .

ـ ٣ ـ

قالَ خَطْوي وَرَدَّدتْ أبْعادي :
«قد تكون الحياةُ أضيقَ من ثقبٍ صغيرٍ في كومةٍ من رمادِ» .

ـ ٤ ـ

كاللعبِ
تركض في مفاصلي

كلّ رياحِ التّعبِ ،
هل رُوِّعتْ من لَهبي
فالتجأت لريشتي
واختبأتْ في كتبي؟

ـ ٥ ـ

حولي ، على وجه الضّحى ، صدأٌ
يغفو على بابي
في شكل أظفارٍ وأنيابِ
أرنو له بغدي وأغسلُه
بدمي وأعصابي .

ـ ٦ ـ

ألموعد المجهولُ في صمت العذابِ
إبَرٌ تخيّط لي إهابي .
عَميتْ دروبي : أين وَجْهُ الأفْق يقرأ لي كتابي؟

ـ ٧ ـ

وطني يُغَلْغِلُ في متاهٍ أجردِ
هذا غدٌ؟ لا لستُ من هذا الغدِ .

ـ ٨ ـ

نهرُ العالمِ ارتوى
من سراديب رجسهِ
أرضه ، منذُ كوّنت
أطفأتْ شمعةَ الغدِ ،
قال عنه تجدّدي :
«أنا أجري بعكسهِ» .

ـ ٩ ـ

لكي تقولَ الحقيقةْ
غيِّرْ خطاكَ ، تهيّأْ
لكي تصيرَ حريقةْ .

ـ ١٠ ـ

كلّ العالمِ فِيَّ جديدُ
حينَ أريدُ .

ـ ١١ ـ

لأنّه روّى من دمهِ قولَهْ
لأنّه أسمى
من كلّ مَن حولَهْ ،

قالوا له : «أعمى»
وانتحلوا قولَهْ .

ـ ١٢ ـ

حتى الخطيئهْ ،
تتلبّس الصُّور المضيئهْ
وتقول : «حدسيَ مطلقٌ بكرٌ ، وتجربتي بديئه» .

ـ ١٣ ـ

يبتكرونَ الحياةَ بالعددِ
بواحدٍ جائعٍ بدونَ يدٍ ،
وآخرٍ نصْفهُ منَ الزّبدِ :
لا يُبدعُ الرّملُ أيّ أغْنيةٍ
ولا تُحسُّ الأشياءُ بالأبَدِ .

ـ ١٤ ـ

يطغى بيَ الحُلُمُ
فأضيعُ مِن شَغَفٍ ،
وأكاد بالعَبثِ الفضيّ أرتطمُ .

ـ ١٥ ـ

لا ، لا . أحبّ ، أحبّ أن أثقا :
وبسطتُ أجنحتي ومنحتُها الأفُقا
فتناثرت مِزَقا...

ـ ١٦ ـ

بنثرةٍ من المَلَلْ ،
أردم كلّ لحظة
بُحيرةً من الأمَلْ .

ـ ١٧ ـ

في جانحيّ دليلٌ
يسير بي للطّريق
وفي الطّريق رمادٌ
يخبو ، ووهجُ حريق .

ـ ١٨ ـ

أمسحُ بانتظاري
عناكبَ الغُبارِ...

ـ ١٩ ـ

بعد غَدٍ أبني
بيتيَ بالأمسِ
وأمسِ كالرّمسِ :
وارحمةَ الشمسِ...

ـ ٢٠ ـ

قال لي تاريخيَ الغارِسُ في الرفض جذورَهْ :
«كلما غبتَ عن العالم أدركتَ حضورَهْ» .

ـ ٢١ ـ

ناضلْ حتى يصل الحجَرُ
للشمس ـ لِما لا يُنتظَرُ .

ـ ٢٢ ـ

في الطّاقة الخَرزيّهْ
مازال خيطُ بصيصٍ
من الضحى ، وبقيّه .

ـ ٢٣ ـ

أصوغ من وساديَ المحجّرِ

أغنيّتي وريشتي ودفتري .

ـ ٢٤ ـ

لا ، لم يُقطَفْ بعدُ الثّمَرُ
فهو جنينٌ مُنْتَظَرٌ...

ـ ٢٥ ـ

أجدرُ بالحاضرِ لو يُقلَبُ :
لو كعبُهُ يحلمُ ، أو يكتُبُ...

ـ ٢٦ ـ

قال الرّبيعُ :
«حتى أنا في كل ثانيةٍ أضيّعها ، أضيعُ» .

ـ ٢٧ ـ

أنا بيتُ الضّوء الذي لا يُضاءُ :
قلقي شعلةٌ على جبلِ التّيه
وحبّي منارةٌ خضراءُ .

ـ ٢٨ ـ

في عروقي تغفو طواعيةُ الحلم ، وتبكي قيثارة الأشياءِ :

ما على الفجر لو ترسَّم خطوي
ما على الشمسِ، لو تسيرُ ورائي؟

ـ ٢٩ ـ

في بلادي تمشي أماميَ حُفْرَهْ
صُنِعت من دمٍ وعَسْفٍ ومكرِ،
في بلادي تُبنى السماء بشَعْرَهْ
وتُهدُّ الدنيا بلطْمة ظفرِ.

ـ ٣٠ ـ

رَقصت بين جفوني الخائفَهْ
جثة الليل وحرْباءُ المدينَهْ،
فَتقنّعْتُ بعشتار الحزينَهْ
ورسمتُ العاصِفَهْ.

ـ ٣١ ـ

أمسِ، فأرَه
حَفَرتْ في رأسيَ الضائع حُفْرَه؛
ربما ترغب أن تَسكن فيهِ
ربما تطمح أن تملك فيهِ
كل تِيه

ربما ترغبُ أنْ تُصبحَ فكْرَه...

ـ ٣٢ ـ

أَعْطِ للفأرة سوطاً
تتبخترْ كالطُغاةِ ،
رَحِمُ الفأرةِ مزحومٌ بذئبٍ وَبِشَاةِ .

ـ ٣٣ ـ

شَدّ على لسانِه وكَمّا
فمات ، بعد برهةٍ ، أصمّا .

ـ ٣٤ ـ

بدّل حتى خطَأَهْ
بِلأْلأَهْ :
كيف يصوغُ مَبْدأَهْ؟

ـ ٣٥ ـ

يا وجهَ الممكن ، وجهَ الأفُقِ
غيّرْ شمسَك ، أو فاحترقِ...

ـ ٣٦ ـ

أعمقُ أن أغيبا ـ
أن أسكنَ الغريبا ،
لكي أصوغَ شكلَ السؤال ، أو أجيبا .

ـ ٣٧ ـ

هذا الجيل الطّالع بعدي مثلَ هدير الأشياءِ
هذا الجيل وقفتُ عليه كلّ غنائي
لم يُولد بعد ، ولكن ها هو ينبض في أعماق الوطن
ها هو يحرق ثوب العفَنِ .
ها هو ينقب سدّ الأمسِ ،
بيد الشّمسِ ،
ذاك الجيل الطالع بعدي مثل الماءِ
مثل هدير الأشياءِ .

ـ ٣٨ ـ

قلبتُ كرسيّ عرشي :
فحين أزهو وألهو
أصوغ ، في السرّ ، نعشي
وحين أتعبُ ، أمشي .

ـ ٣٩ ـ

تيْبسُ ، تيبسُ أعصابي
كالقَشِّ ، كفأسِ الحطّابِ :
أيّ دخيلٍ تحت إهابي؟

ـ ٤٠ ـ

لأنّه الأفْقُ صدىً كلُّهُ
قلبٌ من الآتي وتسبيحُ ،
لا تهزمُ الريحُ .

ـ ٤١ ـ

أرقبُ اللهَ عن كثَبْ
بَصري نورُ شمعةٍ
وحناياي من لهَبْ :
وحدَهُ ، يفهم التّعَبْ .

ـ ٤٢ ـ

لا أنحني
إلا لأحضن موطني
أنا صدرُ أمٍّ مرضعٍ تحنو ، وجبهةُ مؤمنٍ .

ـ ٤٣ ـ

من يرى الموتَ مِثلَهُ والحياةَ ،
يكتبِ الليلَ والنهار بعينيه
وتمحو أوراقُه المِمْحاةَ .

ـ ٤٤ ـ

لأنّه يحيا صدىً وأشتاتا ،
إحساسُه ماتا .

ـ ٤٥ ـ

هذا العالمُ ، منذُ ابتدأَ
لم يُطفئْ حتى... حتى الظّمأَ...

ـ ٤٦ ـ

يتكئُ السجنُ على قَملتينْ :
إحداهما حُبلى ، وتلك التي
ماتت ، تصبّ الأكل في قَصْعتينْ .

ـ ٤٧ ـ

يا شمعةَ المستقبل البصيرَهْ ،
مالي أخاف الطّرُقَ القصيرَهْ؟

ـ ٤٨ ـ

أحسُّ المغيَّب ينبت قربي :
خطايَ اكتشافٌ
وسيريَ أبعدُ من كل دربٍ .

ـ ٤٩ ـ

قال الغد الحائرْ :
«إن طفر اللحنْ
من شفتيْ طائرْ ،
لا يطربُ الغصنْ» .

ـ ٥٠ ـ

هذا العالمُ : من يبنيهِ
يرميه أكثرَ في التّيهِ .

ـ ٥١ ـ

رأسه تحت وجهه
والعصا فوق رأسهِ
تتلهّى بيأسِهِ ،
والليالي تخثّرت
عَلَقاً مِلْءَ نفسِهِ .

خلف عينيه قصّةٌ
لم تُترجَمْ حروفها
جذعها الشكّ والحذرْ
والمآسي قطوفُها .
عمره شقُّ حفرةٍ
وسراديبُ تُبتكَرْ
هو دنيا طويلةٌ
برغيفين تُختَصرْ .
غده خلف أمسِه
وحناياه للتهرّؤ والفيء مشتلٌ ،
كادت الأرض تجفلُ
حين همّت بلمسِه .

زمن الشمس في خطاه جليدٌ محجّرٌ
والثواني تفسّخت عبثاً لا يُفسَّرٌ
في ينابيع حدسِه .

قلبه خيط سنبلٍ
واختلاجاته قصبْ
رُبَّ جفنين من حطبْ
رفرفا عبر هجسِه :
لا تقل مات يأسهُ

تبضه سرّ يأسِهِ .

ـ ٥٢ ـ

بعد الموتِ ،
لا صوتَ يجسّدُ لي صوتي .

ـ ٥٣ ـ

أتفهمني وأنا كالحياة عميقٌ بعيدُ؟
وكيف تحقّقتَ أني أحبُّ وأني أريدُ
وفي رغبتي للرّياح مقرٌّ وقطبٌ
وفوق لساني حديدُ؟
أتفهمني؟ لونُ عينيَّ شمسٌ
ولونُ خطايَ جليدُ .

ـ ٥٤ ـ

أَطعمِ الأيامَ زندَكْ ،
تكبرِ الأشياء بعدَك .

ـ ٥٥ ـ

أعمقُ ما يفسّرُ الأرضا
حشرجةُ المرضى .

ـ ٥٦ ـ

أجيءُ مع الناس للكونِ حلماً
وأذهبُ حُلما
وحسبي ، أضيفُ لهذا الوجودِ
صباحاً ، ورقّةَ جَنْحين ، واسْما .

ـ ٥٧ ـ

هُوذا ، يرفض أن يرقى
إلاّ حرْقا ،
فيه نارٌ لا تخبو
فيه القلبُ .

ـ ٥٨ ـ

نوافذٌ من الدموع هاجرتْ
وجبلٌ من الزّنودِ غائرٌ
يرصدُه الهواءُ والصّنوبرُ الحزينُ ، كلّ لحظةٍ .
وتينةٌ عتيقةٌ
جفونها من البكاء التصقت بساقِها
والصَّمتُ سنّ إبرَ النسيجِ :
خاطَ كفنَ الطّيورِ
صار جَرساً من الحُفَرْ .

خُيِّلَ لي كأنني
أسمعُ لغوَ طفلةٍ تسمّرت على السّرير كفُّها
وعَلِقت جفونُها بخاطرٍ تحسبه فراشةً
أو كرةً أو لعبةً لم تلمح السماءُ مثل لونها .
خُيِّل لي كأنني في سهَرٍ وفي سَمَرْ
أجلس مع سيدةٍ تظنني حفيدَها
تأسرنا بالقصص الغريبِ كلَّ ليلةٍ :
«جنّيةُ المياه في غلالةٍ من الدّجى
تبدو لنا شرارةً أو شبحاً
تحبُّنا ، تأخذنا لأرضها ،
تُلبسنا ثيابَها الريحيّة ، الخفيّة الخيوطِ .
وحارسُ القطيع في تلالِه
تقتله الذئابُ أو يقتلُها .
والفارس الجميلُ في هجومِه
يقضي على غريمه بلفتةٍ
ويخطفُ الحبيبةَ الحلوة من خِبائها» .

خُيِّل لي كأنني
أُمسِكُ شعرَ الزمن المسافر الذي عَبَرْ
أجدله أُعيده نوافذاً
وطفلةً صغيرةً وجدّةً

وأستعيدُ ما غَبَرْ .

ـ ٥٩ ـ

عِشْ ألَقاً وابتكر قصيدةً وامضِ :
زِدْ سَعَة الأرضِ .

(1957-1955)

قصيدة إلى الغريبة

أسألُ ماذا أكتبُ
لزوجتي الغريبةِ ـ العاشقةِ الصّغيرهْ
وورَقي ، إذا حضرتُ ، يهربُ
وريشتي في طرَف الجزيره
حمامةٌ تلتهبُ .
أسألُ ماذا أكتبُ؟
غريبةٌ
أجفانُها سلالمٌ وجُدُرٌ
غريبةٌ لأنّها تحبُّ غيرَ نفسِها
لأنّها تحيا لجارٍ بائسٍ
لطفلةٍ شريدةٍ ،
لأنّها ، الأعمى تقود خطوَهُ
تفرشُ عينيها لَهُ
غريبةٌ لأنها تبدلُ كلّ مقصلَه
بسنبلَهْ .
لأنها تحترقُ

لكي تجيءَ الطُرُقُ .

أعرف أنَّ حَلمها يطولُ
أعرف أن شَعْرها يطولُ
أعرف أن سرّها يطولُ
أعرفها...
تختصرُ الأرض بخطوتين
تختصرُ الكونَ بلفتتين .
أعرف أن بيتها ينتظرُ
ويسهرُ
وأنه التجربةُ الصَميمةُ
الطّالعةُ ، الآنَ ، غدا
وأنه الحب الذي يبتكر
ويسهرُ

أسألُ ماذا أُنشدُ
لزوجتي ، لهذه الوالهةِ الخالقةِ الحبَّ على مثالِها ،
أسألُ ماذا أُنشدُ
والحرفُ كم يُقيِّدُ
كم يجهلُ الشعورَ في المفاصلِ المرهفةِ المرهقةِ
التي ترى ما لا يُرى ، التي

تدلّ الصّبح كيف يُشرقُ
والشيءَ كيف ينطقُ
أسأل ماذا أنشدُ
لزوجتي لغدها المناضلِ
والحرف كم يُقيّدُ
كم يجهل الشعور في المفاصلِ .

لها ، هُنا النوافذ ، الوسادةُ الكتابُ والمجامرُ العتيقةُ الراسمةُ
الأفقَ بقوس قُزَحِ
بالفرحِ ،
تنتظرُ
وتسهرُ
مثليَ ، مثل بيتِها تنتظرُ
وتسهرُ .

(بيروت 1956/12/4)

صفت الذاكرة

ـ ١ ـ

. . . كم نَفضْنا عن أغانينا الكآبه
وملأنا الأُفُقَ أجفاناً ، وصِحْنا : يا سَحابه
أَمْطرينا ،
نحن ذاك الموسمُ المنتظَرُ
والزَّهَرْ ،
غافلينا ،
وافتحي قُرْبَتَك الملأى وصبّيها علينا
يا سحابه
يا التي جاءت من البحر إلينا .

ـ ٢ ـ

. . . في النَّهر جَرَيْنا
كالقصباتْ
صِرْنا حبَباً ، صِرنا ماءً وتخفّيْنا
في أحضان الجنّياتْ .

. . . في الأعيادْ
أَشْعلنا الشّمعَ وصلّينا
وتمنّينا
فرأينا الله بلا ميعادْ .

كلمات لليأس

حين يُؤاخي صمتَها المنزلُ :
لا عشبَ ، لا قُبّرة ، لا ندى ،
تفتح أهدابها
تفتح شبّاكها
للشمس . . . لكن ، قبلَها ، تدخل
فراشةٌ محروقةٌ أو صدى .

الأطفال

فيِ غبار الصّلواتْ
غرق الفجر وماتْ
لكنّ الأطفالْ
نبعٌ يحمل وجه الشّمس
من أمواج الأمسْ
فيِ شلاّل .

اللوحة الأولى

عند بيتنا يطلع النّهارْ
وجهه طابةٌ في يد الصّغار
وفي شفاه المدينه
جرَسٌ للعويلْ
من ثلاثين جيلْ :
ــ «منسمّي عمّنا
اللّي بياخد أمّنا» .
ــ ــ «بس الحالة ما بتنطاقْ...» .

ـ «يا لله... الدهر دولاب» .

ضاع وجه المدينه

في فراغ ذليلْ .

وبكاء الأطفالْ

يفتح باب الفجرْ

وبكاءُ الأطفالْ

مطر الأرضِ وقودُ العُمرْ .

اللوحة الثانية

لو جَرحتنا الصلوات

وغسلنا بدماء الكلماتْ

فجرَ الأطفالْ ،

لو كفّرنا

ودفنّا الماضي في سِروالْ

باسْمِ الأطفال .

في القدم الحافية الصغيرهْ

خمسُ مسامير ورقصتانِ

والدربُ شبّاكٌ على جزيره

حدودها الجراح والأغاني .

والشّارعُ يومٌ لا يحيا

إلا نعشاً أو وحيا :

ـ «الله الحي الباقي . . .»

ـ «عفوكَ عفوكَ يا أَلله» .

والكفن الأبيض في الطّريقْ

والكفنُ الأبيض في الترابِ

والكفن الأبيض كالغرابْ .

يا ليت . . . لو نفيقْ

لو جرَحنا الصّلوات

وغسلنا بدماء الكلمات

فجر الأطفالْ .

سبعين جيلاً نطمس الطريق

نركض في سواهْ

ـ «ما البيتُ ، ما الجباه؟»

ـ «كهفانِ من وحلٍ ومن صقيع» .

لكنّ الأطفالْ

روحٌ تجري صوب الله

وتقول : تعالْ

أَلحيَّ قبورٌ يا أَلله

أَلحيَّ رمالٌ .

وغداً في البيتْ

يُبدّل وجهُ الميت
بسريرٍ أو سِروالْ
للأطفالْ .

اللوحة الثالثة

ـ «رورو ابن السّنونة السّودا
أجا الصّبح سلّم عليّي وطار
يا رورو لوين بتروح؟
جبلي معك شقفة من السّما
تطير فيها هُون . . .»

ويطير الأطفال
خلف غزالٍ أو خيّالْ
وينامونْ
بين الأنجم في سِروالْ .
وهناك عيونْ
تَيْبَس في حُلمٍ مجنون :

ـ مَن ها هُنا؟
ـ لا ضوءَ لا ستارْ
في الغُرفة المليئةْ
بالليل والنّهارْ ،
لم يبقَ إلا ساعةٌ بطيئه .

ـ مَنْ ها هُنا؟

وتوقّفنا

وتسوّلْنا . . .

كان المطعم ذئباً يَسْكرْ

وتمزَّقْنا .

ـ مَن ها هُنا؟

وانكسرت في نبعنا الجرارْ .

وليس في دروبنا المليئه

بالوعد والصّخورْ

إلا مفاتيح من البخور

لقفصِ الخطيئه .

غرق الفجر وماتْ

في غبار الصلواتْ .

لكن...

لكن في التّخمينْ

في خطرات البالْ

يصعدُ من آبار الطِّينْ

وجهُ الأطفال .

(بيروت ، 1958)

مزامير الإله الضائع

ـ ١ ـ

هذا الجسدُ
سِحْرٌ أغوى الأرضا
ألاّ ترضى
ولهيبٌ تَشَهٌ لا يَبْتَرِدُ ، ـ
من أطفال الجسدِ الأبَدْ .
فيه تُغرسُ ، فيه تُقطَفْ
فيهِ ما لا يُعرفُ ، يُعرفْ .
معبدُ قلبي ، معبد شعري ، معبد عمْري
أعصابي فيه تُوقَد مثل بخور الكاهنِ ، مثل الجمرِ :
آه نداءُ الكاهنِ آهِ ندائي
يصعدُ يصعدُ حتّى وجه القمر الآخَر ، حتى أبعَدْ .

ـ ٢ ـ

فحذاكِ لذائذُ خُمَّائيّهْ
لم تُكشَفْ ، لم تُعرَفْ بعدُ

فيها يسبحُ فيها يعدو
ويُقاسِمُها كلّ ثنيّة
ليلُ الغابات الوحشيّةْ
فخذاكِ وبينهما تنمو
أعراسُ الجنْس البحريّةْ
في كلّ تُويج سنفونيّةْ
فخذاكِ وبينهما القُبَلُ
والعشّاق السُّمر الأوَلُ
والأبطالُ
وفتوحاتُ
فخذاكِ ، وبينهما الأجيالُ
شيءٌ يُحضَنُ ، يُعشَقُ يُعبَدُ ، كيف يُقالُ؟

عرّي فخذيكِ ، أزيحي التّينَ
يُسقِسقْ نبعٌ ، يُفتَح أفُقٌ
وتصرْ أقماراً حتى الخرَقُ .

يا شهْدي ، يا شهدَ الشهوه
يا أرضاً تُجنى في خَلوه
يا قبّه
فيها كلّ نجيٍّ يَشْهدُ ربّهْ .

يا قصراً يعلو تحت الزَّغَب
في أحشائك تيهٌ يجرفُ رَمْلَ التّعَب
في أحشائِك أحيا موج الجنسِ ، أكابدُ سورَةَ مَدِّهْ
أردُ العالمَ في لاحدِّه .
في أحشائِك أعرف أوقن أنَّ الآتي
سِرُّ حياتي .
فيكِ أصوِّر أبدع ، أعْلي آثاري
أوضح أعتم أسراري ،
فيك أنشَّ ، فيك أحقِّق أنَّ اللهَ
لا يتناهى .

ـ ٤ ـ

حِقْواك مرافئُ ، والنَّهدانْ تُخومٌ سُمرٌ فوق البصر
منحوتانْ بلفح الشرَّر ،
وعلى السُّرةِ ، كلُّ حدودِ الشَّهوةِ
كلُّ الشَّهوةِ فِترُ
أكثر من أرقام الفكر
وأصغر أضيقُ منها الفكرُ .
هذا الجسدُ
فيهِ يحيا الميتُ
والثَّورة تحيا والرَّقصُ

ويقول الأبكمُ : غنَّيتُ
وله ينمو ، ينمو العدَدُ
وتدور الأرضُ .
نامي ، زندي وُلِد الآنَ ،
وقلبي مثل الطفل يصيحُ
نامي تتلقَّفْك الرّيحُ
تعصفُ ، تهدأُ ، تأتي تمضي
مثلَ الومض .
نامي في أحشائي نارٌ فيها وَخْزٌ
أنت وجودي أنت الرّمزُ .
يا كلّ حياتي يا إيذاناً
بوجودي أن يتعمّق غيبَهْ
يا شمساً تخنق تحرق ريبهْ
يا مجهولي ، نامي ، آن مسيري نحو اللهِ
الضائعِ ، آن وصولي .

(بيروت ، 1956)

القافلة

تَصْعد في سفينة النِّساءْ
تصعد في معراجْ
لا أرض لا سماءْ
تسألها ، من أينْ؟
قافلةٌ من جثث الأمواجْ
لا شيء لا إلهْ
يسألها ، من أينْ؟
تكتب فوق الصَّخْرْ :
«حين يموت البحْرْ
يُبعث في نهدينْ» .

ظلمة

ـ «ليَقِفْ ، وليبْقَ خلفَ العتَبَهْ
هو لا يقدر أن يَعْبرها ،
إنّ بيتي غابةٌ ملتهبه
وهو لن يجرؤ ـ لن يعبرها» .

خافَ من ظلٍّ على تاريخهِ
تركته روحه المغتربه
خاف أن يذكرَها
حُفرتْ أمسِ على تابوتِه
كلماتٌ . . .
هو أوصانا لكي نحفرَها :
«مات كي يقدر أن يذكرها» .

أغاني مهيار الدمشقي

(1961-1960)

إلى خالدة

«لماذا لا تكفينني أيّتها الشمسُ الجميلة؟»

وفجأةً يأتي ، يسقط علينا الموقظُ
الغريبُ
الصّوتُ الذي يخلق النّاس .

هولديرلين

فارس الكلمات الغريبة

مزمور

يُقبل أعزلَ كالغابة وكالغيم لا يُردّ ، وأمس حمَلَ قارّةً ونقل البحر من مكانه .

يرسم قفا النهار . يصنع من قدميه نهاراً ويستعير حذاء الليل ثم ينتظر ما لا يأتي . إنه فيزياء الأشياء ــ يعرفها ويسمّيها بأسماء لا يبوح بها . إنه الواقع ونقيضه ، الحياةُ وغيرُها .

حيث يصير الحجر بحيرةً والظلّ مدينةً ، يحيا ــ يحيا ويضلّل اليأس ، ماحياً فسْحة الأمل ، راقصاً للتراب كي يتثاءب ، وللشجر كي ينام .

وها هو يُعلن تقاطعَ الأطراف ، ناقشاً على جبين عصرنا علامة السّحر .

يملأ الحياة ولا يراه أحد . يُصيِّر الحياة زبداً ويغوص فيه . يحوّل الغد إلى طريدةٍ ويعدو يائساً وراءها . محفورةٌ كلماته في اتجاه الضياع الضياع .

والحيرة وطنه ، لكنه مليءٌ بالعيون .

يُرعب ويُنعش

يرشح فاجعً ويفيض سُخريةً

يَقْشر الإنسان كالبصلة .

إنه الريح لا ترجع القهقرى والماء لا يعود إلى منبعه . يخلق نوعه بدءاً من نفسه ــ لا أسلافَ له وفي خطواته جذوره .

يمشي في الهاوية وله قامة الريح .

ليسَ نجماً

ليس نجماً ليس إيحاءَ نبيٍّ
ليس وجهاً خاشعاً للقمرِ ـ
هوذا يأتي كرمحٍ وثنيّ
غازياً أرض الحروفْ
نازفاً ـ يرفع للشمس نزيفهْ ؛
هوذا يلبس عُرْيَ الحجَرِ
ويصلّي للكهوفْ

هوذا يحتضنُ الأرض الخفيفَهْ .

ملك مهيار

مَلِكٌ مهيارْ
مَلِكٌ والحلْمُ له قصرٌ وحدائقُ نارْ
واليومَ شكاهُ للكلماتْ
صوتٌ ماتْ؛
مَلِكٌ مهيارْ
يحيا فيِ ملكوت الريح
ويملك في أرض الأسرارْ.

صوت

مهيارُ وجهٌ خانهُ عاشقوهْ
مهيارُ أجراسٌ بلا رنينْ
مهيارُ مكتوبٌ على الوجوه
أغنيةً تزورنا خِلسةً
في طُرُقٍ بيضاء منفيّهْ ،
مهيار ناقوسٌ من التائهينْ
في هذه الأرض الجليليّه .

صوت آخر

ضيّعَ خيطَ الأشياء وانطفأتْ
نجمةُ إحساسه وما عثرا
حتى إذا صار خطوُهُ حجَرا
وَقُوِّرت وجنتاهُ مِن مَلَلٍ ،
جَمّع أشلاءَهُ على مَهَلٍ ،
جَمّعها للحياةِ ، وانْتَثرا .

تولد عيناه

في الصخرة المجنونة الدائرةْ
تبحث عن سيزيفْ ،
تُولد عيناهُ ،

تولدُ عيناهُ
في الأعينِ المطفأةِ الحائرةْ
تسأل عن أزيانْ ،
تولد عيناهُ
في سفرٍ يَسيلُ كالنزيفْ
مِن جُثَةِ المكانْ ،
في عالمٍ يلبس وجه الموتْ
لا لُغةٌ تعبرُه لا صوتْ ـ
تُولد عيناه .

الأيام

تعبت عيناهُ من الأيامْ
تعبت عيناه بلا أيامْ
هل يثقب جُدران الأيامْ
يبحثُ عن يومٍ آخرْ ـ

أهُنا أهُنالك يومٌ آخرْ؟

دعوة للموت

(أصوات)

يضربُنا مهمازْ
يخرقُ فينا قشرة الحياة
والصبرَ والملامح الوديعهْ ،
فاسْتسلمي للرّعب والفجيعه
يا أرضَنا يا زوجة الإله والطغاةْ
واستسلمي للنارْ .

صوت

يَهبط بين المجاذيف بين الصخورْ
يتلاقى مع التائهينْ
في جِرار العرائسِ
في وَشوشاتِ المحارْ؛
يُعلنُ بعثَ الجذورْ
بعثَ أعراسِنا والمرافئ والمنشدينْ ـ
يُعلن بعْثَ البحارْ.

قناع الأغنيات

باسْمِ تاريخهِ في بلاد الوحولْ
يأكلُ ، حين يجوع ، جبينَهْ
ويموتُ وتجهلُ كيف يموتُ الفصولْ
خلف هذا القناع الطويلِ
من الأغنياتْ .

إنّه البذرةُ الأمينهْ
إنّه ساكِنٌ في قرار الحياةْ .

مدينة الأنصار

ـ ١ ـ

لاقيه يا مدينة الأنصارْ
بالشوكِ ، أو لاقيهِ بالحجارْ
وعلّقي يديهْ
قوساً يمرّ القبرْ
من تحتها ، وتوّجي صَدْغيهْ
بالوشْم أو بالجمرْ ـ
ولْيَخْترِقْ مهيارْ .

ـ ٢ ـ

أكثرُ من زيتونةٍ ونهْرِ
ونَسْمةٍ تروحُ أو تجيءْ
أكثر من جزيرةٍ وغابه
أكثر من سَحابَهْ
تركض في طريقه البَطيءْ
تقرأ ، في سريرها ، كتابَهْ .

العهد الجديد

يجهلُ أن يتكلَم هذا الكلامْ
يجهل صوت البراري ،
إنه كاهِنٌ حجريُّ النعاسْ
إنه مُثْقَلٌ باللغات البعيدهْ .

هوذا يتقدّم تحت الركامْ
في مناخ الحروف الجديدهْ
مانحاً شعره للرياح الكئيبه
خشِناً ساحراً كالنحاسْ .

إنه لغةٌ تتموّج بين الصواري
إنه فارس الكلمات الغريبهْ .

بين الصدى والنداء

بين الصدى والنداءِ يختبئُ
تحت صقيع الحروف يختبئُ
في لهفة التّائهينَ يختبئُ
في الموج ، بين الأصداف يختبئُ ،

وحينما يُغلق الصباحُ على
عينيه أبوابَه وينطفئُ ،
يُلْجئُ مصباحه إلى جَبَلٍ
ضيّعه يأسُه ، ويلتجئُ .

الجرس

النَّخيلُ انحنى
والنهارُ انحنى والمساءْ ـــ
إنه مُقبلٌ ، إنه مثلُنا ؛
غير أنّ السماءْ
رفعت باسْمِه سقفَها الممطرا
ودَنتْ كي تُدلّي
وجهَه ، فوقَنا ، جرَساً أخضرا .

آخر السماء

يحلم أن يرميَ عينيه في
قرارة المدينة الآتيهْ
يحلم أن يرقص في الهاويه
يَحْلم أن يجهلَ أيامه الآكلةَ الأشياءْ
أيامه الخالقةَ الأشياءْ ؛
يحلم أن ينهضَ أن يَنْهارْ
كالبحرِ ــ أن يستعجلَ الأسرارْ
مُبتدِئاً سماءَه في آخر السماء .

وجه مهيار

وجْهُ مهيار نارْ
تحرقُ أرض النجوم الأليفه ،
هوذا يتخطّى تخومَ الخليفه
رافعاً بيْرق الأفولْ
هادماً كلَّ دارْ ؛
هوذا يرفُض الإمامَهْ
تاركاً يأسَه علامهْ
فوق وجه الفصولْ .

الحيرة

(أصوات)

لأنه يَحارْ
علّمنا أنْ نقرأ الغبارْ
لأنه يحارْ
مرّت على بحارنا سحابَهْ
من نارِه من عَطَش الأجيالْ .

لأنه يَحارْ
أعطى لنا الخيالْ
أقلامَه ، أعطى لنا كتابَهْ .

ينام في يديه

يمدّ راحتيهِ
لِلوطنِ الميّتِ لِلشوارعِ الخرساءْ
وحينما يَلْتصِقُ الموتُ بناظريْهِ
يَلْبسُ جِلْدَ الأرض والأشياءْ
ينامُ في يديهِ .

يحمل في عينيه

يأخذُ من عينيهْ
لألاءً ؛ من آخر الأيام والرياحْ
شرارةً ؛ يأخذ من يديهْ
من جُزُرِ الأمطارْ
جبلّةً ويخلق الصباحْ .

أعرفهُ ـــ يحملُ في عينيهْ
نُبوّةَ البحارْ
سمّانيَ التاريخَ والقصيدةَ
الغاسلةَ المكانْ ؛

أعرفه ـــ سمّانيَ الطوفانْ .

توأم النهار

أَلليلُ أبوابٌ وساحرات
في رئتيْ مهيارْ
في وجهه الأصفر في يديهْ .
مُتْ مثلَنا ضِعْ مَعنا يا آدمَ الحياةْ
أَبحِرْ بنا إليهْ
نَشتاقُه نحيا له ـ مهيارْ
توْأَمُنا وتوأَمُ النهارْ .

الآخرون

عرف الآخرينْ
فرمى صخره فوقهم واستدارْ
حاملاً غُرَةَ النهارْ
والسنينَ التي تُهرول عُذْرِيَةَ الجنينْ .
وجههُ عالِقٌ بالحدود الغريبهْ
ينحني فوقها ويُضيءُ ؛
حيث لا يلتقي بسواه يجيءُ
حيث لا يلمح الآخرين استدارْ
حاملاً غُرَةَ النهارْ
ماحياً صَفْحةَ السماء القريبه .

البربري القديس

ذاك مهيارُ قدّيسكِ البربريّ
يا بلاد الرؤى والحنينْ ،
حاملٌ جبهتي لابسٌ شفتيّ
ضدّ هذا الزمان الصغير على التائهين .

ذاك مهيار قديسكِ البربريّ ـ
تحت أظفاره دمٌ وإلهٌ ؛
إنه الخالقُ الشقيّ
إنّ أحبابَه من رأوْه وتاهوا .

ساحر الغبار

مزمور

أحمل هاويتي وأمشي . أطمس الدروب التي تتناهى ؛ أفتح الدروب الطويلة كالهواء والتراب ـــ خالقاً من خطواتي أعداءً لي ، أعداءً في مستواي . وسادتي الهاوية والخرائب شفيعتي .

إنني الموتُ ، حقاً .

التأبينُ صِيَغي ـ أمحو وأنتظر من يمحوني . لا شذوذَ في دُخاني وسحْري . هكذا أعيش في ذاكرة الهواء .

أكتشف نبرةً لعصرنا وغُنّةً ـ

عصرٌ يتفتّت كالرمل يتلاحم كالتوتياء ؛ عصر السحاب المسمّى قطيعاً والصفائح المسمّاة أدمغة . عصر الخضوع والسراب ، عصر الدّمية والفزّاعة ، عصر اللحظة الشرهة ، عصر انحدارٍ لا قرار له .

ولا شريانَ عندي لهذا العصر ـ إنني مُبعثَرٌ ولا شيء يجمعني .

أخلق شهوةً كلُهاث التنين .

أعيشُ خِفْيةً في أحضان شمسٍ تأتي . أحتمي بطفولة الليل تاركاً رأسي فوق ركبة الصباح . أخرجُ وأكتب أسفار الخروج ولا ميعادَ ينتظرني .

إنني نبيٌ وشكّاك .

أعجن خميرة السقوط ، أترك الماضي في سقوطه وأختار نفسي . أفلْطحُ العصر وأصفِّحه ، أناديه ــ أيها العملاق المسْخ أيها المسخ العملاق واضحك وأبكي .

إنني حجّة ضد العصر .

أمحو الآثار والبقعَ في داخلي . أغسل داخلي وأُبقيه فارغاً ونظيفاً . هكذا تحت نفسي أحيا .

بالنزيف تتغذّى عُروقي ولا مكان لي بين الموتى . الحياةُ ضحيّةٌ ولا أعرف أن أموت ــ إنّ زماني خفيٌ وتحت العيون ، وأمس دخلت في طقس الموج وكان الماء لهيبي .

إنني عَجولٌ والموتُ يتبعني حاشداً رياحَه بين عينيّ . أضحك معه وأبكي في رقّة الهُدب ــ آه الموتُ المهرّجُ الموتُ الباكي .

أعرف أنني في شَرْخ الموت ، أتبطّن القبرَ وأُخَنْخِنُ كلماتي ، لكنني حيٌ ــ يعرف هذا غيري ،

أهجم وأستأصل ، أعبر وأزدري . حيث أعبر يسقطُ شلاّل عالم آخر ، وحيث أعبر الموتُ واللاّ ممرّ ،

وسأبقى ؛ فأنا مُسيَّجٌ بنفسي .

الجرح

1

ألورقُ النائم تحت الريحْ
سفينةٌ للجرحْ
والزّمَنُ الهالك مجدُ الجرحْ
والشّجر الطالع في أهدابنا
بحيرةٌ للجرْح .
والجرحُ في الجسورْ
حين يطول القبْرْ
حين يطول الصّبْرْ
بين ضِفافِ حبّنا وموتِنا ، والجرْحْ
إيماءةٌ والجرحُ في العبورْ .

2

للّغة المخنوقة الأجراسْ
أمنح صوت الجُرحْ
للحَجر المقبل من بعيدْ

للعالم اليابسِ لِليباسْ
لِلزمن المحمول في نقّالة الجليدْ
أُشعل نار الجرح ؛
وحينما يحترق التاريخ في ثيابي
وتنبت الأظافر الزرقاء في كتابي
وحينما أصيحُ بالنهارْ ـ
من أنتَ ، من يرميك في دفاتري
في أرضيَ البتولْ؟
ألمح في دفاتري في أرضيَ البتول
عينين من غبارْ
أسمع من يقولْ :
«أنا هو الجرح الذي يَصيرْ
يكبر في تاريخك الصغيرْ» .

3

سمّيتُكَ السحابْ
يا جرحُ يا يمامَةَ الرحيلْ
سميتُك الريشة والكتابْ
وها أنا أبتدئُ الحوارْ
بيني وبين اللغة العريقَهْ
في جُزُر الأسفارْ

في أرخبيل السَّقْطةِ العريقه
وها أنا أعلِّم الحوارْ
للريح والنخيلْ
يا جرحُ يا يمامَة الرحيلْ .

4

لو كان لي في وطن الأحلام والمرايا
مرافئٌ ، لو كان لي سفينهْ
لو أنَّ لي بقايا
مدينةٍ لو أنَّ لي مدينه
في وطن الأطفال والبكاءْ ،
لَصغْتُ هذا كله لِلجرحْ
أغنيةً كالرمحْ
تخترق الأشجارَ والحجار والسماءْ
ليّنةً كالماءْ
جامحةً مذهولةً كالفتْحْ .

5

أمْطِرْ على صحرائنا
يا عالماً مزيّناً بالحُلم والحنينِ
أمْطِر ، ولكن هُزّنا ، نحن ، نَخيل الجرحْ

واكسرْ لنا غُصنينْ
من شجَرٍ يعشق صمت الجرحْ
مقوّس الأهداب واليدينْ .
يا عالماً مزيناً بالحلْم والحنينِ
يا عالماً يسقط في جبيني
مرتسماً كالجرح
لا تقتربْ ، أقربُ منك الجرحْ
لا تُغْرِني ، أجملُ منك الجرحْ
وذلك السحر الذي رمتْهُ
عيناكَ في الممالِك الأخيره
مَرّ عليه الجرْح
مَرّ فلم يترك له شراعاً
يُغوي ، ولم يترك له جزيره .

مات إله ..

مات إلهٌ كان من هُناكْ
يهبط ، من جمجمة السماءْ .
لَرُبّما في الذعر والهلاكْ
في اليأس في المتاه
يصعد من أعماقيَ الإلهْ ؛
لَرُبّما ، فالأرض لي سريرٌ وزوجةٌ
والعالم انحناءْ .

الضياع

أضيعُ ، أرمي للضحى وجهي وللغبارْ
أرميه للجنونْ
عيناي من عُشْبٍ ومن حريقْ
عيناي راياتٌ وراحلونْ .

أضيع أرمي للضحى وجهي وللغبارْ
أُولد في نهاية الطريقْ
أصرخ ـ فلْيصرخْ معي الطريقُ والغُبارْ :

أَللّه ، ما أجمل ما يضيعَ بي وجهي وأن أضيعْ
ممتلئاًبالنارْ ،
يا قبر يا نهايتي في أول الربيعْ .

حجر

أعشق هذا الحجرَ الوادعا
رأيتُ وجهي في تقاطيعهِ
رأيتُ فيه شعريَ الضائعا .

السقوط

أعيش بين النار والطاعونْ
مع لغتي ــ مع هذه العوالم الخَرْساءْ
أعيش في حديقة التفّاح والسماءْ
في الفَرح الأول والقنوطْ
بين يديْ حواءْ ــ
سيّدَ ذاكَ الشجرَ الملعونْ
وسيّد الثمارْ ؛

أعيش بين الغيم والشرارْ
في حجرٍ يكبر ، في كتابٍ
يعلّم الأسرارَ والسقوطْ .

حوار

ـ «من أنتَ ، من تختارُ يا مهيارْ؟
أنّى اتجهت ، اللهُ أو هاوية الشيطانْ
هاويةٌ تذهب أو هاويةٌ تَجيءْ
والعالم اختيارْ» .
ـ «لا الله أختار ولا الشيطانْ
كلاهما جدارْ
كلاهما يُغلق لي عينيّ ـ
هل أبدل الجدار بالجدارْ
وحيْرتي حيرة من يُضيءْ
حيرةُ من يعرف كلّ شيءْ . . .» .

لغة الخطيئة

أحرق ميراثي ، أقول أرضي
بِكْرٌ ، ولا قبورَ في شبابي
أعبر فوقَ الله والشيطانْ
دربي أنا أبعدُ من دروب
الإله والشيطانْ ـ

أعبر في كتابي
في موكب الصاعقة المضيئةْ
في موكب الصاعقة الخضراءْ
أهتفُ ـ لا جنّةَ لا سقوط بعدي
وأمحو لغةَ الخطيئه .

ملك الرياح

طَرَفٌ رايتي لا تُؤاخي ولا تتلاقى
طَرَفٌ أغنياتي .
ها أنا أحشد الزهور وأستنفر الشجَرْ
وأمدُّ السماء رواقاً
وأحب وأحيا وأُولَدُ في كلِماتي
ها أنا أجمع الفَراشات تحت لواء الصباح
وأربّي الثمارْ
وأبيت أنا والمطَرْ
في الغيوم وأجراسِها ، في البحارْ ؛
ها أنا أُشرع النجومَ وأُرْسي
وأنصّبُ نفسي
مَلِكاً للرياحِ .

الصخرة

رضيتُ بما شئتهِ : أغنياتيَ
خبزي ومملكتي كلماتي ـــ
فيا صَخْرتي أثقِلي خُطُواتي
حملتُك فجراً على كتفيَّ ،
رسمتُك رؤيا على قَسَماتي .

هاوية

أُقبل في هاويةٍ أجهل أن أراها
أخاف أن أراها ،
أُقبل في هاويةٍ مليئةْ
بِفَرْحةِ المُنْبِعِ والنّذيرْ ،
فَرْحة أن تصيرْ
أغنيّتي أغنيّةً سواها
تقود هذا العالم الضريرْ ـ
فَرْحةِ أن أصيرْ
خطيئةً ،
وخاطئاً يحيا بلا خطيئه .

لي أسراري ..

لِيَ أسْراري لأمشي
فوق بيتِ العنكبوتْ
لِيَ أسراري لأحيا
تحت أهداب إلهٍ لا يموتْ .
عاشِقٌ أسكنُ في وجهي وصوتي –
ليَ أسراري ليأتي
ليَ نسْلٌ بعد موتي .

لم ترني عيناك

لم تَرَني عيناكْ
بِكْراً كماءِ النُّطفة الخالقهْ
لم تَرَني أُقبِل من هُناكْ
في موكب النذورْ
وفي خُطايَ العُشْبُ والصاعقه .
غداً غداً في النار والربيع
تعرف أني حاضِنُ البذورْ ،
غداً غداً تُوقِنُ بي عيناكْ .

حوار

ـ «أين كنتَ؟
أيّ ضوءٍ تحت أهدابِكَ يبكي؟
أين كنتَ؟
أرِني . ماذا كتبتَ؟» .
لم أُجبْها . لم أكن اعرف كِلْمَه
فأنا مزّقتُ أوراقي لأ ني
لم أجد تحت غيوم الحِبْر نجمه .
ـ «أي ضوءٍ تحت أهدابكَ يبكي؟
أين كنتَ؟» .
لم أُجبْها . كانتِ الليلة كوخاً
بدوياً ، والمصابيحُ قبيله
وأنا شمسٌ نحيله
تحتها غيّرتِ الأرضُ رُباها
والتقى التّائهُ بالدّرب الطويله .

الحضور

أفتح باباً على الأرض ، أُشعِل نار الحضورْ
في الغيوم التي تتعاكَسُ أو تتوالى .
في المحيط وأمواجه العاشقه
في الجبال وغاباتها ، في الصخورْ ،
خالقاً لِلّيالي الحُبالى
وَطناً من رماد الجذورْ
من حقول الأغاني من الرّعد والصّاعقه ،
حارقاً مومياءَ العُصور .

الأيام السبعة

أيها الأمّ التي تَسخرُ
من حبي ومَقْتي،
أنتِ في سبعة أيام خُلِقْتِ
فخلقتِ الموجَ والأُفُقَ
وريشَ الأغنيهْ
وأنا أياميَ السّبعةُ جرحٌ وغرابُ
فلماذا الأحجيَهْ
وأنا مثلُكِ ريحٌ وترابُ؟

أورفيوس

عاشِقٌ أتدحْرج في عَتمات الجحيمْ
حجَراً، غير أنّي أُضيءُ
إنّ لي موعداً مع الكاهناتْ
في سرير الإله القديمْ
كلماتي رياحٌ تهزّ الحياةْ
وغنائي شرارْ.
إنني لغةٌ لإلهٍ يجيءُ
إنني ساحرُ الغبارْ.

أرض السحر

لم يبقَ ـ لا ثأرٌ ولا خُصومَه
بيني وبين حارس الأيامْ ،
كُلٌّ مضى ، سيّجَ بالغَمامْ
تاريخَه ، كُلٌّ رأى تخومَهْ ـ

ولم تزلْ أرضيَ أرضَ السّحْر :
أُغالِطُ الهواء
أَجْرَحُ وجه الماء
أخرجُ من قنّينةٍ في البحرْ .

رؤيا

تَقنّعي بالخشَبِ المحروقْ
يا بابلَ الحريقِ والأسرارْ ،
أنتظرُ الله الذي يجيءْ
مُكْتسياً بالنّار
مُزيّناً باللؤلؤ المسروقْ
من رئةِ البحرِ من المحارْ ؛
أنتظرُ الله الذي يحارْ
يغضبُ يبكي ينْحني يُضيءْ —
وجهكَ يا مهيارْ
يُنْبئُ بالله الذي يجيءْ .

سفر...

سأسافرُ في موجةٍ في جَناحْ
سأزور العصور التي هجرتْنا
والسماءَ الهُلامية السابعةْ ،
وأزور الشفاه
والعيونَ المليئةَ بالثلج ، والشفرةَ اللامعه
في جحيم الإلهْ ؛
سأغيب ، سأحزم صدري
وأربطُه بالرّياحْ
وبعيداً سأتركُ خطويَ في مفرقٍ ،
في متاهْ . . .

اترك لنا وراءك

إمْضِ ابْتعدْ واحتضنِ الأمواج والهواءْ
واحملْ على أهدابك السحابَ والبروقْ
ولتَنكسرْ وراءكْ
مرآتنا ، ولْتنكسرْ قارورة السنين ؛
واترك لنا وراءك
لا . لا تدعْ وراءكْ
غيرَ بقايا حسْرةٍ وطينْ
غيرَ الدم اليابس في العروقْ ؛
آهِ ، ابتعدْ . مهلَك ، لا .
أوشكتَ أن تغيبْ
فاتْركْ لنا وراءكْ
عينيكَ أو جُثّتَك السّمراء أو رداءَكْ
قصيدةً للعالم الغريبْ
للعالم الآتي مع الحنينْ
يحملُ في أهدابه سَماءَكْ .

أسلمت أيامي ..

أسلمْتُ أيامي لهاويةٍ
تعلو وتهبط تحت مركبتي
وحفرتُ في عينيَّ مقبرتي ،
أنا سيِّد الأشباح أمنحُها
جِنْسي وأمسِ منحتُها لغتي
وبكيتُ للتاريخ منهزماً
مُتعثراً يكبو على شفتي
وبكيت للرعب الذي احترقتْ
أشجارُه الخضراء في رئتي ؛
أنا سيِّد الأشباح أوقِظُها
وأسوقها بدمي وحنجرتي
الشَّمس قُبَّرةٌ رميتُ لها
أُنشوطتي والريح قبّعتي .

جسر الدمع

ثَمّةَ جسْرٌ من الدمعِ يمشي معي
يتكسّر تحتَ جفوني
ثمّة في جلديَ الخَزفيِّ
فارسٌ للطفوله
يربطُ أفراسه بظلِّ الغصونِ
بحبالِ الرياحْ
ويغنّي لنا بصوتِ نبيٍّ :
«أيّهذي الرياحْ
أيّهذي الطفوله
يا جسوراً من الدّمع
مكسورةً وراء الجفونِ» .

لا حدّ لي ...

لِدربيَ اللابسةِ الأمواجَ والجبالْ
لوجهيَ المليء بالأصداءْ
أطفأتُ آلاف الشموع البيض في السماءْ ؛
قلتُ لأسنانيَ للأظافر الزرقاءْ
ليني معي واستسلمي للموج والهديرْ
قلتُ لها أن تقطعَ الحبال
بيني وبين الشاطئ الأخيرْ ـ
لا حَدَّ لي لا شاطئَ أخيرْ .

السدود

دائماً يُقرأ الضّحى ويُعادُ
دائماً هذه المغاورُ تحت الجلْدِ
هذي السدودُ والانقاضُ
دائماً هذه التكايا
دائماً هذه المقابرُ تحت الهدْب
هذي الأشلاءُ هذي الضحايا
من أغانيكَ ، حيث لا أرضَ في وجهكَ
لا رقصةٌ ولا ميلادٌ ،
دائماً في عروقك الإجهاضُ ـ
لكَ في القِشْر نجمةٌ ، لك في الصخر تراثٌ
وفي النّهار بلادٌ ،
يا أميرَ الفراغ يا لغةٌ تفرغُ فيها الرياح والأبعادُ .

الأرض الوحيدة

أسكنُ في هذه الكلماتِ الشريده
وأعيش ووجهي رفيقٌ لوجهي
ووجهي طريقي ،
بِاسْمكِ يا أرضيَ التي تتطاولُ
مسحورةً وحيده
باسمكَ يا موتُ يا صديقي .

أمنية

لو أرْزةٌ من شَجَر الأعماق والسنينِ
تفْتح لي أحضانَها ، لو أنها تقيني
غوايةَ اللّؤلؤ والشراعْ ،

لو أنّ لي جذورها ووجهي
يرسو وراء قشرها الحزينِ ،
إذن ، لَصرتُ الغيمَ والشعاعْ
في الأفْق ـــ هذا البلد الأمينِ .

لكنني أحيا وكلّ غُصنٍ
في شجر الأعماق والسنينِ
نارٌ على جبيني
نارٌ من الحمّى من الضّياعْ
تَلْتهمُ الأرضَ التي تقيني .

قلت لكم ..

قلتُ لكم أصغيتُ للبحارْ
تقرأ لي أشعارَها ؛ أصغيتْ
للجرَس النائم في المحارْ ؛
قلتُ لكم غنّيتْ
في عُرْسِ الشيطان ، في وليمة الخُرافهْ ؛
قلت لكم رأيتْ
في مطَر التاريخ ، في توهّج المسافَهْ
جِنّيّةً وبيتْ ؛
لأنني أبحر في عَينيّ
قلت لكم رأيتُ كلّ شيّ
في الخطْوة الأولى من المسافهْ .

الهزيمة

أصْهرُكِ الآن يا أغاني
غيماً ومرثيّةً ودِيمه
أمزج بالنعمة الجريمه
ناسِجاً راية الترابْ
والضّحى برماح الهزيمه .

ألسّحرُ والنارُ والوليمه
مملكتي ، والضّبابْ
جيشيَ ، والعالَمُ الهزيمه .

يكفيك أن ترى

(أصوات)

يكفيكَ أن ترى
يكفيك أن تموتَ من بعيدْ
أن تحضنَ الذُّرى .

لا صمتَ في عينيكَ لا كلامْ
كأنك الدخانْ
جلدُك يَسّاقَطُ في مكانْ
وأنتَ في مكانْ ـ
يكفيك أن تعيش في المتاه
مُنهزماً أخرسَ كالمسمارْ
لن تلمحَ الله على الجباه ؛
يكفيك يا مهيارْ
أن تكتم السرَّ الذي مَحاهْ .

يكفيك أن ترى
يكفيكَ أن تموتَ من بعيدْ .

الكرسي

(حلم)

مِن زَمَنٍ صرختُ بالمدينه :
يا قشْرَةَ العالم في يَديَ .
من زمنٍ تَمْتَمتُ لِلسفينه ـ
أُغنيَتي في اللهب الورديّ :
أَلكلُّ أو لا شيء .

تعبتُ يا أحفاديَ الصغارْ
مني ، من البحارْ ،
هاتوا ليَ الكرسيَ .

المصباح

يحمل في رابعة النهارْ
مصباحَهُ يبحثُ عن إنسانْ
لا رملَ في عينيهْ ،
يسيرُ في خُفٍّ من الغبارْ
ينامُ في برميلْ
مُلتحِفاً كفّيهْ .

ـ وأنتَ ، ماذا؟
ـ ليس لي عينان .
بيني وبين إخوتي قابيلْ
بيني وبين الآخرِ الطوفانْ .

حين ينام الليل والنهارْ
أُغافلُ السفّاحْ
أمشي ويمشي خلفيَ الغبارْ ،
لكنني أمشي بلا مصباحْ .

أبحث عن أوديس

أشرد في مغاور الكبريتْ
أعانقُ الشرازْ
أفاجئ الأسرارْ
في غيمة البخور في أظافر العفريتْ ـ

أبحثُ عن أوديس
لعله يرفع لي أيامه معراجْ
لعله يقول لي ، يقولُ ما تجهله الأمواجْ . . .

البلاد القديمة

أَسْلمتُ للصّخور والأَصداءْ
راياتيَ المخنوقةَ النداءْ ؛
أسْلمتُها لقلعة الغبارْ
لِكبرياء الرفض والهزيمهْ
لم يبقَ لي إلاّكِ يا بلاديَ القديمه ـ
أيّتها الأسرارْ .

أرض بلا معاد

حتى ولو رجعتَ يا أوديسْ
حتى ولو ضاقت بكَ الأبعادْ
واحترق الدليلْ
في وجهك الفاجع
أو في رعبكَ الأنيسْ ،
تظلّ تاريخاً من الرحيلْ
تظلّ في أرضٍ بلا ميعادْ ،
تظلّ في أرضٍ بلا مَعَادْ ،
حتى ولو رجعتَ يا أوديس .

اليوم لي لغتي

هدمتُ مملكتي
هدمت عرشي وساحاتي وأروقتي
ورحتُ أبحثُ محمولاً على رئتي
أعلّم البحر أمطاري وأمنحُه
ناري ومجمرتي
وأكتب الزّمنَ الآتي على شفتي ؛

واليوم لي لغتي
ولي نجومي ولي أرضي ولي سِمَتي
ولي شعوبي تغذّيني بحيرتِها
وتَسْتضيءُ بأنقاضي وأجنحتي .

الأرض

كم قلتَ : لي بلاديَ الثانيه
وامتلأت كفّاك بالدّموعْ
بالبرق من تخومها الآتيه ،
هل عرفت عيناكَ أنّ الأرضْ
أنّى بكت او هلّلت خُطاكْ
هُنا ، كما غنّيتَ أو هناكْ
تعرف كلّ عابرٍ سواكْ
وأنّها واحدةٌ
يابسةُ الأحشاء والضروعْ
وأنها تجهل طقسَ الرّفض ؛
هل أيقنت عيناكْ
أنك أنت الأرضْ؟

لغة للمسافة

أمسِ تحت المحاجر سافرتُ تحت الغُبارْ
فسمعتُ صدانا
وسمعتُ انهيارَ الحدودْ

ورجعتُ ، وقيل نسيتُ هنالكَ ،
مِن دهشةٍ ، خُطواتي
خطواتي؟ بَلى ، وكأنّي أراها
حُرَّةً تتنقّل بين الشرايين بين الرّئاتِ
وتطوف الحنايا وتنقادُ
مذهولةً أو تحارْ
في ثنايا الخواصر في الجِلْدِ
في هُوَّةٍ لا تراها
وكأني أراها
بعد هذا تعودْ .
ستمرّ ، ولن تلمحوا ، خُطواتي
بيننا لغةٌ للمسافة يجهل ألفاظها سوانا .

البرق

أوْمأ لي برقٌ بكى ونامْ
في غابة الظنونْ
يجهل من أكونْ
يجهل أنّي سيّد الظلامْ ؛
أومأ لي برقٌ بكى ونامْ
نام على يديَّ
منذ رأى عينيَّ .

ظلي وظل الأرض

إقتربي أيتها السماءُ واسْتريحي
في قبريَ الضيِّقِ ،
في جبينيَ الفسيحِ
وابْقَيْ بلا وجهٍ ولا يدينْ
ودونما حشرجةٍ أو نبْض
وارْتسمي شَخْصين ـ
ظِلي وظِلِّ الأرضْ .

أوديس

ـ «مَن أنتَ ، من أيّ الذرى أتيتْ
يا لغةً عذراء لا يعرفها سواكَ .
ما اسْمُكَ ـ أيّ رايةٍ حملتَ أو رميْتَ؟» .
تسأل ، ألكينوس؟
تُريد أن تكشف وجه الميْت
تسأل من أيّ الذرى أتيتْ
تسأل ما اسمي ـ اسمي أنا أوديسْ
أجيءُ من أرضٍ بلا حدودْ
محمولةٍ فوق ظهور الناس ؛
ضعتُ هنا وضعتُ مع قصائدي هُناكْ
وها أنا في الرعب والبياسْ
أجهل أن أبقى وأن أعود .

الإله الميت

مزمور

أول النهار أنا وآخر من يأتي ــ أضع وجهي على فوهة البرق وأقول للحلم أن يكون خبزي .

أرفع الفراشة بيرقاً أكتب عليه أسمائي .

شجَرةٌ تغيّر اسمها وتأتي إليّ ، حجر يغتسلُ بصوتي ، سهلٌ يكتسي بأوراقي ــ هذه جيوشي وسلاحيَ العشب .

أنقش وجهي على الرّيح والحجر ، أنقش وجهي على الماء ، أسكن الأفق ، وعلى جبيني قناعٌ من الموج .

أتّجه نحو البعيد والبعيد يبقى . هكذا لا أصل ، ولكنني أضيء . إنني بعيد والبعيد وطني .

أخلق وطناً صديقاً كالدمع .

الذين يلغمون قشرة العالم ، المليئون كالجمر ، الذين يُتاخمون الأفق ، الذين يتفيّأون ظلّ الفراشات ،

هؤلاء سمّيتهم بأسمائي . أنا الراكض والآلهة سياجٌ حولي أخطفها وأغزوها وحين أجسّها ألبس المآتم قُفّازاً . أنا الساكن في أصداف الحلم ،

معلناً إنسانَ الداخل ــ انظر وراءك يا أورفيوس ، تعلَّم كيف تسير في العالم ــ

أعلن طوفانَ الرّفض ،

أعلن سِفْر تكوينه .

أحاور الكهوف ، أصيّر الجبال كلماتٍ وأموْسق الحُفَر ، أراقص الأثير وأحمِّل الحجر أشواقي إلى الأرض . أكتب رقيةً لأيامي وأكسر عدّادَ الوقت . أغرس مسافاتي بالأشلاء وأترك للأبعاد أن تقودني .

مرآة الحجر

عارياً تحت نخيل الآلهةْ ،
لابساً رَمْلَ السنينْ
كنتُ ألهو باحتضاري
كنت أبْني ملكوتَ الآخرين
بغباري .
يا نبيّ الكلمات التائهه
يا نبيّ السّفر الآتي إلينا
في رياح المطَرِ
أنا واليأسُ عرفنا أنك الآتي إلينا
وعرفناك نبياً يُحْتَضَرْ
فانحنينا
وهتَفنا : «أيّها الآتي إلينا
ضائعاً يقطر نفياً وحريقا
نحن نرضاك إلهاً وصديقا
في مرايا الحجر» .
يا نبيّ السفَرِ

أنا أرضاك إلهاً ورفيقا
في مرايا الحجر .
باسْمكَ اليوم أغنّي للغيومْ
وسأبني بين قلبي والفضاء
عند أطراف النجوم
حاجزاً يلبس وجه البشَر
والسماءْ ،
وأغنّي للغيومْ ـــ
حجَرٌ وجهي ولن أعشقَ غير الحَجَرِ .

الأغنية

خرساءَ أو مخنوقةَ الحروفِ
أو لا صوتْ
أو لغةٌ تحت أنين الأرضْ ،
أغنيتي للموتْ
للفرح المريض في الأشياءِ للأشياءْ
أغنيتي للرفض
يا كلمات الرعب والدواءْ
يا كلمات الداءْ .

لمرة واحدة

لِمَرّةٍ واحدةٍ لِمرّةٍ أخيره
أحلم أن أسقط في المكانْ ـ
أعيش في جزيرة الألوانْ
أعيش كالإنسانْ
أصالح الآلهة العمياء والآلهة البصيرهْ
لِمرّةٍ أخيره .

الأرض الثانية

ها أنا في طريقي إلى أرضيَ الثانيهْ
ومعي رايتي ورياحي ،
والنهار يموتْ
ساحباً خلفه عَرَبات الأضاحي
ساحباً خلفه البيوتْ .

اعتراف

ليس إلا جثّة الليل وأشلاء يديَّ
في تقاطيع النهارْ
ليس إلا حَجَرٌ تحت الجفونْ
آهِ كم صلّيتُ للربِّ الحرونْ
لِلثمارْ
آهِ كم أطعمتُ عينيَّ لجوع الشجره
وَلكم سرتُ على أهدابيَ المنكسره
للقاءٍ ـ لعناقٍ وثنيّ
أنا والله وأنقاض النهارْ.

صلاة ...

صلّيتُ أن تظلّ في الرّمادْ
صلّيت ألاّ تلمح النهار أو تُفيقْ ـ
لم نختبر ليلَك ، لم نُبحر مع السّواد ؛
صلّيتُ يا فينيقْ
أن يهدأ السّحْر وأن يكونْ
موعدنا في النار في الرّمادْ ،
صلّيت أن يقودنا الجنونْ .

المسافر

مسافرٌ تركتُ وجهي على
زجاجِ قنديلي
خريطتي أرضٌ بلا خالقٍ
والرفضُ إنجيلي .

الصاعقة

أيتها الصّاعقة الخضراءْ
يا زوجتي في الشّمس والجنونْ ،
الصّخرةُ انهارت على الجفونْ
فغيّري خريطةَ الأشياءْ .

جئتكِ من أرضٍ بلا سماءْ
ممتلئاً بالله والهاويهْ
مجنّحاً بالرّيح والنسورْ ،
أقتحمُ الرمل على البذورْ
وأنحني لِلغَيْمَة الآتيهْ ،
فغيّري خريطة الأشياء
يا صورتي في الشمس والجنونْ
أيتها الصّاعقة الخضراءْ .

بعد السكوت

أصرخُ بعد السكوت الذي لا يُغامرُ فيه الكلامُ
أصرخ مَن منكُم يراني
يا بقايا بلا قامَة يا بقايا تموتْ
تحت هذا السكوتْ .
أصرخُ كي تتوالدَ في صوتيَ الرياحُ
كي يصيرَ الصباحُ
لغةً في دمي وأغاني .
أصرخ : مَنْ منكم يراني
تحت هذا السكوت الذي لا يُغامر فيه الكلامُ ،
أصرخ كي أتيقّن أنّيَ وحدي ـ أنا والظلامُ .

الذئب الإلهي

الضّحى محترق الوجه شريدُ
وأنا موتُ القمرْ
تحت وجهي جرَسُ الليل انكسرْ ،
وأنا الذئبُ الإلهيُّ الجديدُ .

قدم الأطفال

أعطي لكِ الماردَ والدخانْ
يا فَرساً شهباءْ
تُطعمها الصُّبَّيْرَ والزؤانْ .
أُعطي لكِ الرياحَ والأبوابْ
أعطي لكِ الألعابْ
والحلْمَ والدفاتر الصّفراء
والحرفَ والكتابه
في غُرفِ الحكمة والأمثالْ ،
يا شمسُ يا جنيّةَ الشلاّل والسّحابه
يا قدَم الأطفالْ .

حجر الصاعقة

إنني حجَرُ الصاعقهْ
والإلهُ الذي يتلاقى مع المفرق الضّائع
وأنا الراية العالِقه
بجفون السّحابِ المشرّد والمطر الفاجع ؛
وأنا التائه الذي يتقدم سيلاً ونارا
مازجاً بالسماء الغُبارا ؛
وأنا لهجةُ البرق والصّاعقه .

تائه الوجه ...

تائه الوجه ـ أصلّي لغباري
وأغنّي روحيَ المغتربهْ
وإلى معجزةٍ لم تكتملْ ،
أتخطّى عالماً تحرقهُ
أغنياتي وأمدّ العتَبه .

أخلق أرضاً

أخلقُ أرضاً تثورُ معي وتخونُ
أخلق أرضاً تجسّسْتُها بعروقي
ورَسمْتُ سماواتِها برعدي
وزيّنتُها ببروقي ،
حدّها صاعِقٌ وموجٌ
وراياتُها الجفونُ .

الخيانة

آه يا نعمةَ الخيانهْ ــ
أيّها العالم الذي يتطاولُ في خُطواتي
هُوّةً وحريقه
أيّها الجثّةَ العريقه ،
أيها العالم الذي خنته وأخونُهْ .
أنا ذاك الغريق الذي تصلّي جفونُهْ
لهدير المياه ،
وأنا ذلك الإلهْ ــ
الإلهُ الذي سيُبارك أرضَ الجريمه .

إنني خائنٌ أبيع حياتي
لِلطريق الرّجيمه ،
إنني سيّد الخيانَهْ .

الصدفة

خفْتَ؟ غيّر وجهَك المنهزما
أيها الشيطان يا مركبتي فوق النّجومْ .
أنا لا أخشى الطّريقَ الأبكما
إنني ريحٌ سَمومْ
إنني كالصّدَفَه :
تحت وجهي حُفرت مقبرتي .

أهجر الأحلامَ في أهدابكَ المرتجفه
وابْقَ في حُنجرتي ،
أيها الشيطان يا مركبتي تحت النجومْ .

الإله الميت

اليومَ حرقتُ سَراب السَّبتِ سَراب الجُمْعهْ
اليومَ طرحتُ قناعَ البيتْ
وبدلتُ إله الحجر الأعمى وإله الأيّام السّبعه
بإلهٍ ميّت .

قربان

في كُهوفِ العذابِ العتيقْ
حيث كنتُ أحبَّ الإله
أحبّ نساء القصورْ
حيث عشنا ـ أنا والجنون الصّديقْ ،
ضِعتُ بين الشهورْ
فعبرت المفازه
وتركت ورائي الطريق .
باسْم ربٌ يخطّ كتابهْ
في كهوف العذاب العتيقْ ،
أرفعُ هذا الحريقْ
وأضحّي ذُبابَهْ ؛
باسْم تلك الشموس التي تَتقدّمُ
أبداً هذي الجَنازَهْ .

إلى سيزيف

أقسَمْتُ أن أكتبَ فوق الماءْ
أقسمتُ أن أحمل مع سيزيفْ
صخرتَه الصمّاءْ .
أقسمتُ أن أظلّ مع سيزيفْ
أخضعُ لِلحُمّى وللشرارْ
أبحثُ في المحاجر الضريره
عن ريشةٍ أخيره
تكتبُ للعشب وللخريفْ
قصيدةَ الغبارْ .

أقسمتُ أن أعيش مع سيزيف .

إله يحب شقاءه

لِلإله الذي يتمزّقُ
في خُطواتي ...
أنا مهيار هذا الرّجيمْ ،
أرفع الميّتين ذبيحهْ
وأصلّي صلاة الذئاب الجريحه .
غيرَ أنّ القبور التي تتثاءبُ
في كلماتي
حَضَنَتْ أغنياتي
بإله يُزيح الحجارةَ عنّا ،
يُحبّ شقاءهْ
ويُبارِكُ حتى الجحيمْ
فيصلّي معي صلواتي
ويردّ لوجه الحياة البراءهْ .

مشهد

(حلم)

كأنّما تَسْتنطقُ الصاعقة الحجارْ
تحاكم الصاعقة السماءْ
تحاكم الأشياءْ
كأنما يغْتسل التاريخ في عينيَّ
وتسقطُ الأيامُ في يديَّ
تسقط كالثمارْ...

رياح الجنون

صدِئتْ عَرَباتُ النهارْ
صَدِئ الفارسُ .
إنني مقبلٌ من هناكْ
من بلاد الجذور العقيمهْ ،
فَرَسي برعمٌ يابسٌ
وطريقي حِصارْ .
ما لكم ، ما لكم تسخرونْ؟
اهرُبوا فأنا من هناكْ
جئتكم ، فلبستُ الجريمه
وحملتُ إليكم رياحَ الجنونْ .

ليسَ لكَ اختيار

ماذا ، إذن تهدمُ وجه الأرضْ
ترسمُ وجهاً آخراً سواهْ ؛
ماذا إذن ليس لك اختيارْ
غير طريق النارْ
غير جحيم الرّفضْ —
حين تكون الأرضْ
مقصلةً خرساء أو إلهْ .

إرم ذات العماد

مزمور

ألهو مع بلادي ؛

ألمح مستقبلها آتياً في أهداب النعامة . أداعب تاريخها وأيّامها وأسقط عليها صخرة وصاعقة . وفي الطرف الآخر من النهار أبدأ تاريخها .

غريبٌ عنكم أنا وفي الطرف الآخر . أسكن بلاداً خاصةً بي ، وفي النوم واليقظة أفتح برعماً وأعيش فيه .

ثمة حاجةٌ لأن يُولد شيءٌ ما ، لذلك أفتح للبرق مغاراتٍ تحت جلدي وأبني أعشاشاً . ثمة حاجةٌ لأن أعبر كالرعد في الشفاه الحزينة كالقشّ ، بين الحجر والخريف ، بين المسامّ والبشرة ، بين الفخذ والفخذ .

لهذا أغني : «تقدّم يا شكلاً يليق باحتضارنا» .

لهذا أصرخ وأغني : «من يعطينا أمومة الفضاء ، من يغذّينا بالموت؟» .

أتقدم صوب نفسي وصوب الأنقاض . تأخذني سكْتة الفجيعة ــ قصيرٌ لأحيط بالأرض كالحبل ، ولست حاداً كما ينبغي لأغوص في وجه التاريخ .

تريدون أن أكون مثلكم . تطبخونني في قِدْر صلواتكم ؛ تمزجونني

بحساء العساكر وفلفل الطاغية ، ثم تنصبونني خيمةً للوالي وترفعون جمجمتي بيرقاً ــ

آه يا موتي ،

مع ذلك أجري نحوك ، أركض أركض أركض إليك .

يفصلكم عني بعدٌ بحجم السراب .

أهيِّج الضباع فيكم وأهيِّج الآلهة . أزرع فيكم الفتنة وأُرضع الحُمّى ، ثم أعلمكم أن تسيروا بلا دليل . إنني قُطبٌ في استواءاتكم وربيعٌ يمشي . إنني ارتجاجٌ في حناجركم ، وفي كلماتكم نزيفٌ مني .

تتقدمون كالبرَص نحوي ، أنا المربوط بترابكم . لكن لا شيء يجمع بيننا وكل شيء يفصلنا ــ فلأحترقْ وحيداً ، ولأعبرْ بينكم رمحاً من الضوء .

لا أستطيع أن أحيا معكم ، لا أستطيع أن أحيا إلا معكم . أنتم تموّجٌ في حواسّي ولا مهرب لي منكم . لكن اصرخوا ــ البحر ، البحر! لكن علّقوا فوق عتباتكم خرَزَ الشمس .

افتحوا ذاكرتي ، تبيّنوا وجهي تحت كلماتها وتبيّنوا حروفي . حين ترون الزَّبد ينسج لحمي والحجَر سائلاً في دمي ، ترونني .

مُغلقٌ كجذع شجرة ، حاضرٌ ولا أُقبَض كالهواء . هكذا لا أستطيع أن أستسلم لكم .

وُلدت في محاجر اللّيلك ، نشأت في مدار البروق ، وأسكن بين الضوء

والعُشب . أعصف وأصحو ، ألمع وأغيِّم ، وأمطر وأُثلج ــ الساعات لغتي وبلاديَ النهار .

(الناس نيامٌ فإذا ماتوا انتبهوا) أو كما قيل ؛ أنتم نيامٌ ، فإذا انتبهتم متُّم ، أو كما سيُقال .

أنتم وسَخٌ على زجاج نوافذي ويجب أن أمحوكم ، أنا الصباح الآتي والخريطة التي ترسم نفسها ؛

مع ذلك ، في أحشائي حُمّى تسهر عليكم ،

مع ذلك أنتظركم .

في صدَف الليل على البحر ،
في تَهادُرِ اللّجة ،
في الثقوب التي تملأ جُبّةَ الفَلك ،
في العُنّاب والأكاسيا ،
في الصنوبر والأرزْ ،
في بطانة الموج ــ في الملح
أنتظركم .

رؤيا

ألمح بين الكُتب الذّليلهْ
في القبّة الصفراء
مدينةً مثقوبة تطيرْ
ألمح جدراناً من الحريرْ
ونجمةً قتيله
تسبح في قارورةٍ خضراء .
ألمح تمثالاً من الدّموعْ
من خزَف الأشلاءْ والرّكوع
في حضرة الأميرْ .

المدينة

(أصوات)

ـ «للدّخانِ انحنت للدخانْ
هيَ عوّامة الرياحِ .
وجهها ضفدعٌ ولها إصبعانْ
لن تمسَّ قرونَ الربيعْ
لن تحسَّ بنهر الصّباحِ .

إنها بِرْكة القطيعْ ـ
وجهُها واحدٌ ولها سُرّتانْ» .

براءة

أتهم الأشباحْ
أتهم الرُّخَّ الذي يَبيضْ
في كتِفِ الجنيّة العمياءْ ؛

أتهم الرياحْ
والشمع والدجاجة الخرساءْ ؛

أتهم الثعبان ذا الجناحْ
يا للجناح الأبرص المهيض ؛

أتهمُ الأشجار والمياه ـ
فأنتِ يا سماءَنا المضيئه
يا زوجة السلطان والإلهْ
بريئةٌ من دمنا بريئهْ .

البغي

لَنا ، لنا شفاهُنا المليئه
بالعالم الغبيّ ؛
لنا بقايا الجُثَث المضيئه
وأوّل الطريق والمحرقه ؛
لنَا ، لَنا سُقوطُنا الخفيّ
من شُرُفاتِ الجنة المُغْلقَه ،
يا سحرُ يا تعويذةً هنيئه
نرسُمها كفَارةً وتختاً
مُراهقاً لأرضنا البغيّ .

رقية

أنتَ بلا شريانْ
جِلْدك يحيا وحده يدوزْ
يغور في دوّامة القشور ،
جلدك يحيا يابساً عريانْ ؛
جلدك مطّاط من الكلامْ
يعيش منقوشاً على البيوتْ
بالرمل والرخامْ ؛

آتيةٌ أيامك الجرباءْ
في بؤبؤيْ جرادةٍ عمياءْ ،
آتيةٌ في جلد عنكبوتْ .

الجثتان

دفنتُ في أحشائكِ الذليله
في الرأس والعينين واليدينْ
مئذنةً ، دفنتُ جثّتين ــ
الأرضَ والسماءْ ،

أيتها القبيله
يا رَحِمَ الزّيزان يا طاحونة الهواءْ .

العصر الذهبي

ـ «جُرَّهُ يا شُرَطيّ . . .»
ـ «سيدي أعرف أن المقصلةْ
بانتظاري
غير أني شاعرٌ أعبد ناري
وأحبّ الجلجلهْ» .

ـ «جرّه يا شُرطيّ
قل له إن حذاء الشُّرَطيّ
هو من وجهكَ أجملْ» .

آه يا عصرَ الحذاء الذهبيّ
أنت أغلى أنتَ أجملْ .

الأشياء

لو أنني أخترقُ الجرحَ إلى الجريمه
لو أنني أموّه الرايات والجنونْ ،
لكانَ لي قبّعة الإخفاءْ
لَكنتُ في النصر وفي الهزيمه
أقتحمُ الحلمَ على الجفونْ
أكون في الأرض ولا أكون .

لكنني ربطتُ بالأشياء
وجهي وأعماقيَ والإلهْ ،
رضيتُ أن أحيا بلا تميمه
أن أرسم الحياه
بالموت والسّراب والأشياء ـ
رضيتُ أن أحيا مع الأشياءْ .

تزيني بالرمل

تزيّني بالرّمل والذّئابْ
يا امرأةَ الرّيح الدمشقيّهْ ،
لا قمرٌ عندي ولا ثيابْ
لكنني جرؤتُ أن أنامْ
في وجهكِ الميِّت كالخليجْ
في وجهك المنذور للنّشيجْ
يا لغةً ترسو بلا تحيّهْ
في مَرْفأ الكلامْ
يا امرأةَ الرّيح الدّمشقيهْ .

المدينة

أَلشـموعُ انطفأتْ فوق جبيني
أَلشَموع اشتعلت فوق المدينه
والمدينه
رجلٌ لا يعرفُ الضوء جبينَهْ .
والمدينه
حجرٌ ينأى وأشلاء سفينه .

قد تصير بلادي

ها أنا أتسلّق أصعد فوق صباح بلادي
فوق أنقاضها وذراها
ها أنا أتخلّص من ثِقَل الموت فيها
ها أنا أتغرّب عنها
لأراها،
فغداً قد تصير بلادي .

لأرضي

لأرضيَ أجرح هذه العروق الرّجيمه
لأرضيَ خبّأتُ بين جراحي
غدي ورياحي ،
وأرضيَ مخمورةٌ ــ كتِفاها
أميران من لؤلؤٍ ، وجريمه .

غبطة الجنون

هدمتُ قصرَ الرّمل في العيونْ
مَنحتُ للتكايا
مجامِرِ الأفيونْ ـ
مجامرِ الأفيونِ والسّجادَ والمرايا ؛
رَجمْتُ وجهَ الصبر والقَبولْ
رَقصتُ للأفولْ
لجثّةِ الإلهْ ـ
باسْمِكِ يا سحابةَ الأجراسْ
يا عُرُسَ الأنقاضِ واليَباسْ
يا بُقَعَ الرّعْبِ على الجباهْ .

وطن

لِلْوجوهِ التي تَتيبّسُ تحت قناع الكآبه
أنحني ؛ لدروبٍ نسيتُ عليها دموعي
لأبٍ مات أخضراً كالسّحابه
وعلى وجهه شراعُ
أنحني ؛ ولطفلٍ يُباعُ
كي يُصلّي وكي يمسحَ الأحذيه ـ
كلنا في بلادي نصلّي كلنا نمسح الأحذيه
ولِصخرٍ نقشتُ عليه بجوعي
أنّه مَطرٌ يتدحرجُ تحت جفوني وبَرْقُ
ولبيتٍ نقلتُ معي في ضياعيَ تُرابَهْ
أنحني ـ هذه كلها وَطني ، لا دِمشْقُ .

الوجه البعيد

حين كسرتُ القِشْرَ والجليدْ
حين قتلتُ القمرَ المغطّى بالسّحر والدخانْ ،
دخلتُ في أغوارِكِ المُضاءَهْ
بالعُشْب والبراءه ،
قرّبتُ وجهَ العالم البعيدْ .

لستِ على سريريَ المفروشِ بالجنونْ
رَمْلِيّةَ النّعاسْ
لستِ معي قَشّاً ولا يَباسْ
يا امْرأةَ الألام والصوّانْ
يا أختَ قاسَيونْ .

صوت

أغنى من الرّعب
أغنى من التمرّد المقهورْ
أنتَ ، ومن رعد على الصّحراءْ ،
يا وطناً مُصَمّغاً مكسورْ
يسير مشلولَ الخُطى قُربي .

رؤيا ..

هَرَبتْ مدينتُنا
فركضتُ أستجلي مسالكَها
ونظرتُ ـ لم ألمحْ سوى الأفُقِ
ورأيتُ أن الهاربين غداً
والعائدين غداً
جسَدٌ أمزّقه على ورقي .

ورأيتُ ـ كان الغيمُ حنجرةً
والماء جُدراناً من اللّهب
ورأيتُ خيطاً أصفراً دَبقاً
خيطاً من التاريخ يَعلقُ بي
تجترّ أيامي وتعقدُها
وتكرّها فيهِ ... يدٌ ورثتْ
جنسَ الدُمى وسُلالة الخِرَقِ .

ودخلتُ في طقس الخليقة في

رَحِم المياه وفِتْنَةِ الشّجَرِ
فرأيتُ أشجاراً تراودني
ورأيت بين غُصونها غُرفاً
وأسرّةً وكوىً تُعاندني ،
ورأيت أطفالاً قرأتُ لهم
رَمْلي ، قرأت لهم
سُوَرَ الغمام وآيةَ الحَجَرِ ؛
ورأيت كيف يسافرون معي
ورأيت كيف تُضيء خلفهمُ
بُرَكُ الدّموع وجُثّةُ المطرِ .

هرَبت مدينتُنا ــ
ماذا أنا ، ماذا؟ أسنبلةٌ
تبكي لِقبّرةٍ
ماتت وراء الثلج والبَردِ
ماتت ولم تكشف رسائلها
عني ولم تكتب إلى أحدٍ ،
وسألتُها ورأيت جثّتَها
مطروحةً في آخر الزّمنِ
وصرختُ ــ «يا صمت الجليد أنا
وطَنٌ لغربتها

وأنا الغريبُ وقبرُها وطني» .

هربت مدينتُنا
فرأيتُ كيف تحوّلت قدَمي
نهراً يطوف دماً
ومراكباً تنأى وتتّسعُ
ورأيتُ أن شواطئي غَرَقٌ
يُغوي وموجي الريح والبجعُ .

هربت مدينتُنا
والرفضُ لؤلؤةٌ مكسّرةٌ
ترسو بقاياها على سفُني
والرفضُ حطّابٌ يعيش على
وجهي ـ يُلملمني ويُشعلني
والرفض أبعادٌ تشتّتني
فأرى دمي وأرى وراء دمي
موتي يُحاورني ويتبعني .

هربت مدينتُنا
فرأيت كيف يُضيئني كفَني
ورأيت ـ ليت الموت يُمهلني .

شداد

عاد شَدّادُ عادْ
فارْفعوا راية الحنينْ
واترُكوا رفضكم إشارهْ
في طريق السنينْ
فوق هذي الحجاره ،
باسم ذات العمادْ .
إنها وطَنُ الرّافضينْ
ألذين يسوقون أعمارَهم يائسينْ
كسَروا خاتَمَ القَماقمِ
واسْتَهزأوا بالوعيدْ
بجسور السّلامه ،
إنها أرضُنا وميراثُنا الوحيدْ
نحن أبناءَها المُنظرَينَ ليوم القيامَهْ .

الزمان الصغير

مزمور

أين تنتهي المسافة ، أين يبطل الخوف؟

أنادي الفراغ أفرغ الممتلئ . حتى الصوّان رخوٌ ، حتى الرّمل يتأصّل في الماء ــ لماذا الطرقُ ، لماذا الوصول؟

ضالٌّ ضالٌّ ولن أعود . السقوط حالتي وشرطي ، الجنّة نقيضي .

إنني عرسٌ وأعلن جاذبية الموت ــ أنا الغيم ولا يباس عندي ، أنا القفرُ ولا غيمَ لي .

أختبئ وراء اللغز ، أختبئ تحت جُبّة الفصول وأوصوص من فُتوقها . أمنح لخطواتي شكلها وأقول للبحر اتبعني .

والشّجرَ أوراقٌ في دفاتري والحجرَ قصائدُ مِثلي .

سأكشطُ جلدة الأفق حتى ينزف ويسيل . سأطير بين الجرح والجرح ،

نتقاسم الفضاء ، الموتُ وأنا

نرفع بيرق المجاعة ، الخبزُ وأنا

وغداً أعلق بثوب الخُرافة وأتسلّق حائط الظلّ . سيعلقُ بي آنذاك موكبٌ من مزامير الحجر ــ

آه ، أيها الجنون يا سيدي يا مسيحي .

أبحث عن شمسٍ تُقيم في العيون ، عن عيونٍ ترى الضوء كلَّ الضوء . أبحث عن جذع شجرةٍ يصير جسداً ، أبحث عما يُعطي للكلمة عضواً جنسياً ، وعما يثقب السماء .

أبحث عما يُعطي للحجر شفاه الأطفال ، وللتاريخ قوسَ قُزح ، وللأغاني حناجر الشجر .

أبحث عما يمدُّ التخومَ المتموِّجة ، التخومَ التي لا تُرى بين البحر والصخر ، بين السحاب والرمل ، وبين النهار والليل .

أبحث عما يوحِّد نبراتنا ـ الله وأنا ، الشيطان وأنا ، العالم وأنا ، وعما يزرع بيننا الفتنة .

آه ، أيها البحث يا وعائي .

النهار

ألنهارُ كسانا
بعباءاتِهِ القديمه .
ألنهارُ بكَانا هنا وبكَانا هناكْ
فاتحاً صدرَه للهزيمه
راسِماً شارَةَ الملاكْ
فوق أشلائِنا وخُطانا .

طريق

أيّهذا الطريقُ الذي يرفضُ أن يبدأَ
نحن وجهٌ رأى
فأحبَّ النهارَ أحبَّ الحضورْ ،
كان في أرضنا إلهٌ نسيناه مُذْ نأى
وحرقنا وراءهُ هيكلَ الشمعِ والنذورْ .
نحن صُغْنا من الغيابْ
صنَماً من ترابْ
ورجمناه بالحضورْ
بالطَّريقِ الذي كاد أن يبدأَ ،
أيّهذا الطريقُ الذي يجهل أن يبدأَ .

لا كلمات بيننا

هل تتركُ الرمال أهدابَنا
هل يغسلُ الطوفان أرض القشورْ؟
تَفَتّتي واحْترقي يا بذورْ
لا كلِماتٌ بيننا لا صَدَىً ـ
تهدَّمت قبل الطريق الجسورْ .

وداع

قلنا لكِ الوداعَ من سنينْ
قلنا لكِ المرثيّةَ التائبهْ ،
يا هالة الملائك الميّتين
يا لغة الجرادة الهاربه .

أَلكلماتُ احتَقَنتْ بالوحولْ
أَلكلماتُ ازّيّنتْ بالمخاضْ ـ
عادَتْ لنا أرحامنا الغائبه
وها هيَ الأمطارُ والسيولْ
يا لغة الأنقاضْ
يا هالة الملائك الميّتينْ .

موت

نموتُ إن لم نخلق الآلهة
نموتُ إن لم نقتل الآلهه ــ
يا ملكوتَ الصخرةِ التائهه .

الرياح المضيئة

أَلرياحُ التي تُطفئُ ، الرياحُ المضيئةْ
لم تزل خلفَنا بطيئه .
نحن والرعبُ في الطريقْ
بَرَدى بيننا والفراتْ
كم حملناهما في القفارْ
رايةً من غبارٍ وغارْ
وهمسناهما صلاةْ ـــ
بَرَدى والفراتْ .
والرياح التي تُطفئُ ، الرياحُ المضيئه
لم تزل خلفنا بطيئه .

القوقعة

مرّ في أهدابنا وجهُ المدينهْ
ضائعاً تحت جليد الأقنعه
فَهتفْنا
نحن نحيا في تجاويف المدينه
كالحلازين وراء القوقعه ،
أيَها الرفْضُ اكْتَشِفْنا .

أرض الغياب

هي ذي أرضُ العذابْ
لا غَدَ آتٍ ولا ريحٌ تُضيءُ
أيُّ صوتٍ سيجيءْ
يا أحبّائيَ في أرض الغيابْ .

رسالة

أَلبلادُ التي حلمنا بها وفَتحْنا إليها الطريقْ
أُفقاً جَرحتْه الجفونُ الخجولةْ ،
أمسِ فِي كبرياء الجنون الصديقْ
واحتضار الطفوله
أمس جُعْنا لها ورسَمْنا
صورةً باسمها وهالةْ
وكتبنا إليها رساله ــ
أَلبلادُ التي جَرحتْها الجفونُ الخجوله .

التائهون

أَيها التائهون الحَيارى
أَلذين يجيئون قبل الطريقِ ،
أَلذين يجيئون قبل النداء
باسْمكمْ يتقدَّم فجر السماء
ساحراً آخذاً كالحريقِ
ولكم أرضنا وجميلاتُنا العذارى
ولكم ، في الرياح العنيده ،
كُتبت هذه القصيده ،
أيّها التائهون الحيارى .

الضياع

أَلضياعُ الضياعْ . . .
أَلضياعُ يخلِّصنا ويقود خطانا
والضياعْ
ألقٌ وسواه القناعْ ؛
والضياعُ يوحِّدنا بسوانا
والضياعُ يعلِّق وجه البحارْ
برؤانا
والضياعُ انتظارْ .

عودة الشمس

ألقدرُ اهتزّ على البحارْ
وانكسرت خواتم الخرافهْ
وها هِي الأغوارْ ،
فاتركْ لنا أن نزرع الشطآن بالمحارْ
أن نُرسيَ الفلْك على صِنّينْ
واتركْ لنا أن نصعقَ التنّين
يا سيّد الخرافه .

وحينما تنتحبُ الأجراس والطريقْ
في هجرة الشمس عن المدينه
أيقظْ لنا ، يا لهبَ الرّعد على التلالْ
أيقظْ لنا فينيقْ ـ
نهتفْ لرؤيا ناره الحزينه
قبل الضّحى وقبل أن تُقالْ
نحملْ عينيه مع الطريقْ
في عودة الشمس إلى المدينه .

الصخرة العاشقة

أَلرّحيلُ انتهى والطريقْ
صخْرةٌ عاشقهْ .
إننا ندفنُ النهار القتيلْ
إننا نكْتسي برياح الفجيعه ،
غير أنّا غداً سنهزُّ جذوعَ النخيلْ
وغداً نغسل الإله الهزيل
بدم الصّاعقه ،
ونمدّ الخيوط الرّفيعه
بين أجفاننا والطريقْ .

الرايات

أَلخيوطُ التي تسجتْها الجذورْ
بين أهدابنا والغبارْ
أُثقلتْ بحطام النهارْ
أُثقلت بالجسورْ ـ
هي راياتُنا في رحيل الغُبارْ .

الطوفان

إذهَبي ، لا نُريدكِ أن تَرجعي يا حمامَهْ
إنهم أسلموا لحمهم للصخورْ
وأنا ـ ها أنا أتقدم نحو القرار السحيقْ
عالِقاً بشراع السفينه .
إنّ طوفاننا كوكبٌ لا يدورْ
إنه غامرٌ عتيقْ ـ
ربّما تَتنشَّقُ فيه إلهَ لعصور الدَّفينَه
فاذهبي ، لا نريدكِ أن ترجعي يا حمامه .

الزمان الصغير

أَلسَّراب المرائي لنا والنهارُ الضَّريرْ
ولنا جثَّةُ الدَّليلْ ،
نحن جيلَ السفينهْ
نحن أبناء هذا الزمان الصغيرْ .
أسْلمتْنا البحار الأمينهْ
البحارُ التي تُرتِّل مرثيَّة الرَّحيلْ
أسْلمتْنا إلى المتاهْ ــ

نحن جيلَ الحوار الطَّويل
بين أنقاضِنا والإلهْ .

المدينة

نارُنا تتقدّم نحو المدينه
لِتهدّ سريرَ المدينه .
سنهدّ سريرَ المدينه
سنعيشُ ونعبرُ بين السّهامْ
نحو أرضِ الشفافية الحائره
خلف ذاك القناع المعلّق بالصخرة الدائره .
حولَ دوّامة الرّعب
حولَ الصدى والكلامْ
وسنغسل بطنَ النهار وأمعاءه وجنينَهْ
وسنحرق ذاك الوجود المرقّع باسم المدينه
وسنعكسُ وجهَ الحضورِ
وأرضَ المسافاتِ في ناظر المدينه ؛
نارُنا تتقدم والعشب يولد في الجمرة الثائره
نارُنا تتقدّم نحو المدينه .

طرف العالم

مزمور

أخلق للرّيح صدراً وخاصرةً وأسند قامتي عليها . أخلق وجهاً للأفق وأقارن بينه وبين وجهي . أتّخذ من الغيوم دفاتري وحبري ، وأغسل الضّوء .

للشقائق زينةٌ أتزيّا بها ، للصنوبرة خصرٌ يضحك لي ، ولا أجد من أحبه — هل كثيرٌ إذن ، أيها الموت ، أن أحبّ نفسي؟

أبتكر ماءً لا يرويني . كالهواء أنا ولا شرائع لي — أخلقُ مناخاً يتقاطع فيه الجحيم والجنة . أخترع شياطين أخرى وأدخل معها في سباقٍ وفي رهان .

أكنس العيونَ في غباري . أتسلّل في ألياف الماضي فاتحاً ذاكرة الأوّلين . أنسج ألوانَها وألوَنَ الإبَر . أتعب وأرتاح في الزّرقة — يُشمس تعبي ويُقمر في لحظةٍ واحدة .

أُطلق سراح الأرض وأسجنُ السماء ، ثم أسقط كي أظلّ أميناً للضوء ، كي أجعل العالم غامضاً ، ساحراً ، متغيراً ، خطراً ؛ كي أعلنَ التخطي .

دمُ الآلهة طريٌّ على ثيابي . صرخةُ نَوْرسٍ تصعدُ بين أوراقي — فلأحملْ كلماتي ولأمْضِ . . .

سفر

مُسافرٌ دونما حراكِ :
يا شمس ، منْ أين لي خُطاكِ؟

طرف العالم

ما هَمّني الممكنُ ـ أفرحَ أو ألمْ ،
ففي تراتيلي
أبدع إنجيلي
أبحث عن مَخبأْ
عن عالمٍ يَبدأْ
في طَرف العالمْ .

آدم

وَشْوَشَني آدَمْ
بِغَصَّةِ الآهِ
بالصَّمتِ بالأنَّهْ ـ
«لستُ أَبَ العالَمْ
لم أَلمح الجنَّه
خُذْني إلى اللهِ» .

جزيرة الحجر

حول خُطاي تُبتكَرْ
جزيرةٌ من الحجَرْ
من الشّرزْ ـ
أمواجُها مقيمةٌ
وشطُّها على سَفَرْ .

ريشة الغراب

1

آتٍ بلا زهرٍ ولا حقولْ
آتٍ بلا فصولْ ؛
لا شيءَ لي في الرّمل في الرّياحْ
في روعة الصّبّاحْ
إلا دَمٌ فتيّ
يجري مع السماءْ
والأرض في جبينيَ النبيّ
رَفُّ عصافيرٍ بلا انتهاءْ .

آتٍ بلا زهرٍ ولا حقول
وفي دمي نبعٌ من الغبارْ ؛
أعيش في عينيّ
آكل من عينيّ –
أحيا ، أسوقُ العمرَ في انتظارْ
سفينةٍ تعانق الوجودْ

تغوص للقرارْ
كأنها تحلمُ أو تحارْ
كأنها تمضي ولا تعودْ .

2

في سَرَطان الصّمتِ في الحصارْ
أكتب أشعاري على الترابِ
بريشة الغرابِ ،
أعرف ، لا ضوءَ على جفوني –
لا شيءَ ، إلا حكمةُ الغُبارْ
أجلس في المقهى مع النهارْ
مع خشب الكُرسيّ
وَعِقب اللُّفافةِ المرميّ
أجلس في انتظار
موعديَ المنسيّ .

3

أريدُ أن أجثوَ أن أصلّي
للبومة المكسورة الجناحْ
للجمر للرياحْ ،
أريد أن أصلّي

للكوكب المشدوه في السماء
للموت للوباءْ ،
أريد أن أحرقَ في بخوري
أيامي البيضَ وأغنياتي
ودفتري والحبر والدواةْ
أريدُ أن أصلّي
لأيِّ شيء يجهل الصلاةْ .

4

بيروتُ لم تظهر على طريقي
بيروتُ لم تُزهرْ وها حقولي
بيروتُ لم تُثْمِرْ
وها ربيعُ الجراد والرمل على حقولي ،
وحدي بلا زهرٍ ولا فُصولِ
وحدي مع الثمارْ
من مغرب الشمس إلى ضُحاها
أعبر بيروتَ ولا أراها
أسكن بيروت ولا أراها...
وحدي أنا والحبّ والثمارْ
نمضي مع النهارْ
نمضي إلى سواها .

الفجر يقطع خيطه

أَلفجر يقطع خيطَهُ
يضع الجفونَ على التراب
ويداي ساريتان تحتضنانِ
أشرعةَ الغيابِ .

رحلت شبابيكي ـ
فما من زهرةٍ ما من كتابِ
أنا والزوايا ،
لي خيوطي الواهناتُ ، ولي غُرابي .

الباب

مُنذ أسابيعَ وأجفانُهُ
تربضُ في البابِ
أَلجسمُ في فراشه ضائعٌ
يبحث والقلبُ على البابِ
ما من يَدٍ دَقَّت على البابِ ؛
يشتاقُ أن يبكيَ ـ
ما أكرمَ البكاء ما أغناهُ ، في نهرِهِ
سَفينةٌ تُقِلّ أحبابي .

من أنت؟

عينايَ عند فراشة
والرُعبُ يضرب أُغْنياتي
ـ مَنْ أنتَ؟
ـ رمحٌ تائِهٌ
رَبٌّ يعيشُ بلا صلاةِ.

نوم الجديد

1

رحنا مع الفُلْك ، مجاديفنا
وعدٌ من الله وتحت المطرْ
والوحل ، نحيا ويموت البَشرْ .
رحنا مع الموج وكان الفضاءْ
حبلاً من الموتى ربطنا به
أعمارَنا وكان بين السماء
وبيننا نافذةٌ للدعاءْ .

«يا ربّ ، لِمْ خلّصتَنا وحدَنا
من بين كلّ الناس والكائناتْ؟
وأين تُلقينا ، أفي أرضكَ الأخرى ،
أفي موطِننا الأولِ
في ورَق الموت وريح الحياة؟
يا ربّ فينا ، في شرايينِنا
رعبٌ من الشّمس ؛ يئسنَا من النّور

يَئسنا من غدٍ مُقبلٍ
فيه نُعيد العمرَ من أوّلٍ .

يا ليتَ أنّا لم نصرْ بِذرةً
للخلق ، للأرض وأجيالها
يا ليتَ أنّا لم نزل طينةً
أو جمرةً ، أو لم نزل بين بينْ
كي لا نرى العالم كي لا نرى
جحيمه وربّه مرّتينْ» .

2

لو رجع الزّمانُ من أوّلٍ
وغمرت وجه الحياة المياه
وارتجّت الأرض وخفَّ الإلهْ
يقول لي يا نوح أنقذْ لنا
الأحياء ـ لم أحفلْ بقول الإلهْ
ورُحت في فُلكي ، أزيح الحصى
والطين عن محاجر الميّتينْ
أفتح للطوفان أعماقَهم ،
أهمس في عروقهم أننا
عُدنا منَ التيه ، خرجنا من الكهفِ

وغيّرنا سماء السّنين ،
واننا نُبحر لا نَنثني رعباً
ولا نُصغي لقول الإلهْ
موعدُنا موتٌ ، وشطآننا
يأسٌ ألفناه ، رضينا به
بحراً جليدياً حديدَ المياه
نعبره نمضي إلى منتهاه ،
نمضي ولا نصغي لذاك الإلهْ
تقنا إلى ربٍّ جديدٍ سواه .

الموت المعاد

مرثية بلا موت

أركض خلف الوطن المسجونْ
في غابة الأعراس في طفولة الأجراسْ ؛
أستنفرُ الأهدابَ والظنونْ
حول سرير العشب والحصادِ
وأسرج الأفراسْ
نحوكِ يا بلادي
يا وطنَ الثلج على الجفونْ .

مرثية عمر بن الخطاب

صوتٌ بلا وعدٍ ولا تعلّه
يصرخ ، والشّمس له مظلّةْ ،
مَتى ، مَتى تُضْرَبُ يا جِبِلّةْ؟

ويا صديقَ اليأس والرجاءْ
أَلحجَرُ الأخضر فوق النارْ
ونحنَ في انتظارْ
موعدكَ الآتي من السماءْ .

مرثية أبي نواس

تائهٌ والنهار حولك دهرٌ من الدِّمَنْ
شاعرٌ كيف يَشْرئبُّ
على وجهكَ الزمنْ
عارفٌ أنني وراءك في موكب الحجرْ
خلف تاريخنا المواتْ
أنا والشعر والمطرْ
ريشتي ناهدُ الجواري وأوراقيَ الحياةْ .

خلِّنا يا أبا نَواسْ
الليالي تلفّنا بالعباءاتِ والدِّمنْ
وأحبّاؤنا طُغاةٌ مراؤون كالسماءْ
خلِّنا للعذاب الجميل وللرِّيح والشَّررْ
نقتلُ البعث والرجاءْ
ونغنّي ونستجير ونحيا مع الحجرْ
نحن والشعر والمطرْ ،
خلِّنا يا أبا نواسْ .

مرثية الحلاج

ريشتُك المسمومة الخضراء
ريشتُك المنفوخةُ الأوداج باللهيبْ
بالكوكب الطالع من بغدادْ ،
تاريخنا وبعثنا القريبْ
في أرضنا ـ في موتِنا المُعَادْ .

أَلزّمنُ استلقى على يديكْ
والنار في عينيكْ
مجتاحةً تمتدّ للسماء
يا كوكباً يطلعُ من بغدادْ
محمّلاً بالشعر والميلادْ ،
يا ريشةً مسمومةً خضراءْ .

لم يبق للآتين من بعيدْ
مع الصدى والموت والجليدْ
في هذه الأرض النشوريّه ...

لم يبقَ إلا أنتَ والحضورْ
يا لغة الرّعد الجليليّه
في هذه الأرض القشوريّه
يا شاعر الأسرار والجذورْ .

مرثية بشار

لا تبْكه واتركْهُ للسوط وللخليفةِ المجنونْ
وسَمِّه الشَّيطانَ أو قسمْه الطاعونْ
فَهْو هُنا ، هناكَ لايزالْ
يهدرُ في الشوارع الصمّاءْ
يهدرُ في أغوارنا الخرساء
يهدر كالزلزالْ .
وهو هُنا ، هناك لايزالْ
أعمى بلا أرضٍ ولا مدينه
يبحث عن لؤلؤةٍ زرقاءْ
تحفظها أشعاره الأمينه
للسَّنة العجفاءْ .

مرثية

أيها الميّتُ فوق الخشَبَهْ
يا صديقي
رَسَمَتْ وجهَك أزهارُ الطريق
وَمَشَتْ خلف خطاك العَتَبَهْ .

مرثية

أَلغبارُ يُغنّيك يرفع أشعاره إليكْ
مانِحاً للمهاوي خُطاكْ
راثياً هذه البقايا
من أغانيكَ من روّاكْ .

أَلغبارُ يُغطّي زجاج الفصولِ
يغطّي المرايا
ويُغطّي يديكْ .

كتاب التحولات والهجرة
في أقاليم النّهار واللّيل

(1965)

زهرة الكيمياء

ينبغي أن أسافرَ في جنَّةِ الرَّمادْ
بين أشجارها الخَفيَّةْ
في الرَّمادِ الأساطيرُ والماسُ والجزَّةُ الذَّهبيَّةْ .
ينبغي أن أسافرَ في الجوع ، في الوَردِ ، نحو الحصادْ
ينبغي أن أسافرَ ، أن أستريحْ
تحت قوس الشِّفاهِ اليتيمَةْ ،
في الشِّفاه اليتيمَةِ في ظِلِّها الجَريحْ
زَهرة الكيمياءِ القديمَةْ .

الدهشة الأسيرة

ذاهبٌ أَتفيّأُ بين البراعم والعشبِ ، أَبني جزيرَهْ
أَصِلُ الغصنَ بالشّطوطْ
وإذا ضاعَتِ المرافئ واسودّتِ الخطوطْ
أَلبسُ الدّهشة الأسيرَهْ
في جَناحِ الفراشَهْ
خلفَ حصنِ السّنابلِ والضّوءِ في مَوْطِنِ الهَشاشَهْ .

شجرة النهار والليل

قبل أن يأتيَ النهارُ ، أجيءُ
قبل أن يتساءَل عن شَمسِهِ ، أُضيءُ
وتجيءُ الأشجارُ راكضةً خلفي ، وتمشي في ظلِّيَ الأكمامُ
ثم تبني في وجهيَ الأوهامُ
جُزُراً وقِلاعاً من الصَّمْتِ يجهل أبوابها الكَلامُ
ويُضيءُ اللّيلُ الصّديقُ ، وتنسى
نفسها في فراشيَ الأيامُ
ثمّ ، إذ تسقطُ الينابيعُ في صدري ،
وتُرْخي أزرارَها وتَنامُ
أُوقِظُ الماءَ والمرايا ، وأجلو
مثْلَها ، صَفْحةَ الرؤى ، وأنامُ .

كنيسة النهار

صارَت ليَ الكؤوسُ والأكمامْ
وسادَةً
حُلْماً على الوسادَهْ ،

من زَمنِ الولادَهْ
في غابةِ الرّضاعِ والفطامْ
أَنقلُ أجراسيَ في اللّيلِ إلى كنيسة النّهارْ
ألنُسْغُ قُدّاسيَ بينَ الطّلعِ والثّمارْ
والوَرَقُ العِمادَهْ .

شجرة الشوق

صِرتُ أنا المِرآةْ :
عكستُ كلَّ شيّ
غيّرْتُ في نارِكَ طقسَ الماء والنّباتْ
غيّرتُ شكْلَ الصّوتِ والنّداءْ

صرتُ أراكَ اثنينْ :
أنت وهذا اللّؤلؤ السّابحُ في عينيّ
صرتُ أنا والماء عاشقينْ :
أُولَدُ باسْم الماء
يُولَدُ فيَّ الماءْ
صِرتُ أنا والماء تَوْأمينْ .

الإشارة

مَزجْتُ بين النّار والثّلوجْ ـ
لن تفهمَ النّيرانُ غاباتي ولا الثّلوجْ
وسوف أبقى غامضاً أليفاً
أسْكُنُ في الأزهار والحجاره
أغيبُ
أستقصي
أرى
أموجْ
كالضوءِ بين السّحرِ والإشارهْ .

شجرة الحنايا

فِي حقول الكآبةِ ، فِي العشب أرسمُ أيّامي الحَجَرِيّةْ
كاسراً صفحةَ المرايا
بين شمس الظهيرة والماءِ في البُركةِ الآدميّةْ .
سنَواتي تُهاجرُ كالجوع تنهارُ في غابة الحنايا
سَنَواتٌ...
رأيتُ مناقيرَها تَتشابَكُ ، تنْهارُ في غابةِ الحنايا
بين أعْشاشِها الأبَدِيّةْ .

شجرة النار

عائلةٌ من وَرَق الأشجارْ
تجلسُ قُربَ النّبعْ
تجرحُ أرضَ الدّمْعْ
تقرأ للماء كتابَ النّارْ،

عائلتي لم تنتظر مجيئي
راحَتْ
فلا نارٌ ولا آثارْ.

شجرة الصباح

لاقِني يا صباحُ إلى حقلِنا اليائسِ
في الطَّريقِ إلى حقلِنا اليائس
شَجرٌ يابِسٌ كم وَعدْنا
أن نَظَلَّ سَريريْن ، طِفلين ، في ظلِّهِ اليابسِ .

لاقِني ، هل رأيتَ الغُصونَ سمعتَ نداءَ الغُصونْ
تركتْ نسغَها كلاما

كلماتٌ تشدُّ العيونْ
كلماتٌ تشقّ الحجارهْ

لاقِني ، لاقِني...
كأنّا التقينا ، نَسجْنا الظّلاما
ولبسنا ، وجئنا ، قرعْنا على بابه ، رفعنا السّتارَه
وفَتَحْنا شبابيكَه وانزوينا

في حنايا الجذوعْ
واشتَعَلْنا بأجفانِنا وسكَبْنا
ذَوْرَقَ الحلم والدَّموعْ
وكأنَّا بقينا
في بلادِ الغصونِ ، أضعْنا طريقَ الرَّجوعْ .

غابة السحر

لِيكُنْ ،
جاءتِ العصافيرُ وانضمَّ لفيفُ الأحجار للأحجارِ
لِيكنْ ،
أوقظُ الشّوارعَ واللّيلَ
ونمضي في موكبِ الأشجارِ
ألغصونُ الحقائبُ الخُضْرُ والحلْمُ وسادٌ
في عطلةِ الأسْفار
حيث يبقى الضّحى غريباً ويبقى
وَجهُهُ خاتماً على أسراري .

ليكُنْ ،
دلّني شُعاعٌ وناداني صَوْتٌ
من آخر الأسوارِ...

شجرة الأهداب

. . . وحينما استسْلَمتُ في جزيرةِ الجفونْ
ضيفاً على الأصدافِ والجِرارْ ،
رأيتُ أنَ الدّهرَ قارورَهْ
تجمعُ بين الماءِ والشّرارْ
وتَمنح الإنسانَ أن يكونْ
أسطورةً أو نارَ أسطورهْ ،

وكنتُ محمولاً على الغصونْ
في غابةٍ بيضاءَ مسحوره
نهارُها المنذورُ للجنونْ
مَدينتي ، واللّيلُ مقصورَهْ .

شجرة الكابة

وَرَقٌ يتقدَمُ يرتاح في حُفْرةِ الكتابَهْ
حاملاً زهرةَ الكآبَهْ
قبل أن يُصبحَ الكَلامُ
صدأً
يتناسلُ في قشْره الظَّلامُ

وَرَقٌ سائحٌ يتقدمُ يرتادُ أرضَ الغرابَهْ
غابةً بعد غابَهْ
حاملاً زَهْرةَ الكآبَهْ . . .

اقليم البراعم

مَرَّ هنا إيكارْ
خَيَّم تحتَ الوَرَقِ الشَّاحبِ شمَّ النَّارْ
في غُرفِ الخُضرةِ في البراعمِ الوديعَهْ
وهَزَّ،
هَزَّ الجذْعَ، واستَجارْ
والْتَفَّ كالوشيعَهْ
ثمَّ انتَشى وطارْ...

لم يَحْتَرِقْ ـ لَمَّا يَعُدْ إيكارْ.

(1963)

المسرح والمرايا

(1968)

كلمات

كلماتٌ لها أرجلٌ وبيوتُ
كلماتٌ تموتُ
وَهيَ حُبْلَى . . . سكنّا
وَطناً راودتهُ ، شَرَدْنا
في تقاطيعهِ ، ارْتَسَمْنا
حول آفاقهِ غصونا
وارتسمنا رؤىً وعيونا

كلماتٌ رمَتْ قِشْرها ، رافقتني
في طقوسِ المدينَةْ
ودخلنا مقاماتِها ، احترقنا
حُلماً ـــ ها هنا دَفَنّا
جُثّةَ العالم اقتسمنا
إرثَه واستعدْنا
لهبَ الفطرة الدّفينَةْ .

كلماتٌ تسافر في صرْخة الطفولَةْ
كم حملنا خُطانا مزجنا البطولَةْ
بالجنونِ ، احتمينا
ببراكينهِ . . .
كَلماتٌ
حضَنتْ صمتَها وماتتْ
... وحرقنا مناديلنا وقرأنا
سورةً ،
وذَبحْنا
حلُماً كالخروفِ
بين إيقاعها والحُروفِ .
. . . وامتزجْنا بها ورقدْنا
فوقَها
ونَهضْنا
وبَدأنا ، وعدنا
والمدى جامحٌ ،
كلماتٌ ،
كلماتٌ هي الثورةُ ـ
. . . اجترحْنا
كلّ ما يهدمُ المدينةَ أو يخلقُ المَدينَةْ
كلماتُ الحنين وأقواسه الشريده

كلماتٌ تهاجر بين الغصونْ
كلماتٌ تموتُ مع الحلمِ في آخر العيونْ
كلماتُ الحدود البعيده
كلماتُ الأفولْ
والصّعودِ ومعراجِهِ ،
الحلولْ
في الجذور وغاباتها ،
كلماتٌ
شهدت جثّة الحسينْ
وهْيَ تبكي وتجري مع الرّافدينْ
مُتُّ في حضنها وعشْتُ
وَطَمَرْتُ شَرايينها ونَبشْتُ
كلماتُ المَجيءْ —
سَفَرٌ مُعتمٌ خُطواتٌ تُضيءْ
في الزّمانِ المهرولِ في وَجههِ البَطيءْ
كلماتٌ سفينهْ
في البحارِ الدفينهْ
بينَ نارِ الغموضِ ومزمارِه ، الدّفينهْ
تحت رقصِ الجذورِ
الدّفينَهْ
حيثُ تمضي وتمضي وتمضي

مَطَراً هاذِياً

وتمضي

لهَباً هَاذِياً

وتمضي . . .

لون الماء

لونكَ لونُ الماء
يا جَسَدَ الكَلامْ
حين يكون الماءْ
خميرةً أو صاعقاً أو نارْ ـ
واشْتعَلَ الماءُ وصارَ صاعقاً وصارْ
خميرةً ونارْ ،
نَيلُوفراً
يسألُ عن وسادتي
ينامْ . . .
يا نَهرَ الكَلامْ
سافرْ معي يومين ،جمعتين في تموّجِ الأسرارْ
نلتقطُ المَحارَ ، أو نستكشف البِحارْ
نُمطرُ ياقوتاً وآبنوساً
نعرفُ أنَّ السِّحرْ
جنّيةٌ سوداءْ
ترفضُ أن تعشقَ غير البَحرْ .

سافرْ معي واظهرْ هنا... وغِبْ هنا...
واسألْ معي يا نَهَرَ الكَلامْ
عن صَدَفٍ يموتُ كي يَصيرْ
سحابةً حمراءْ
تُمطِرُ،
عن جزيرهْ
تَسيرُ أو تطيرْ،
واسألْ معي يا نَهَرَ الكلامْ
عن نجمةٍ أسيرهْ
بين شِباكِ الماءْ
تحمل تحت ثديها
أيامِيَ الأخيرهْ.
واسألْ معي يا نهرَ الكلامْ
عن حجرٍ ينبُعُ منه الماءْ
عن موجةٍ يولد منها الصَخرْ
عن حيوان المِسْكِ، عن يَمامةٍ من نورْ
واهبطْ معي في شَبَكِ الدَّيجورْ
في القاعِ،
حيثُ الزّمنُ المكسورْ
ولْيكنِ الكلامْ
قصيدةً تلبَس وجهَ البَحْرِ.

الزمن المكسور

امرأة ورجل

ـ من أنتَ؟
ـ بهلولٌ بلا مكانْ
من حجر الفضاء من سُلالة الشيطانْ
ـ من أنتِ؟
هل سافرتِ فِي جسَدي؟
ـ مِراراً
ـ ما رأيتِ؟
ـ رأيتُ موتي
ـ ألبستِ وجهي؟
ورأيتِ شمسيَ مثلَ ظلٍّ
ورأيتِ ظلّيَ مثلَ شمسٍ
ونزلتِ تحت سريرتي ، وكشفتِني؟
ـ أَكشفتَني؟
ـ كاشَفْتِني؟ أيقنْتِ؟
ـ لا
ـ أشُفِيت بي ، وبقيتِ خائفةً؟
ـ بَلى
ـ أعرفتِني؟
ـ أعرفتَني؟

أغنية للرجل

جانبياً ،
رأيتُ وجهكِ مرسوماً على جذْع نخلةٍ
ورأيتُ الشّمسَ سوداءَ في يديكِ ،
فأسرجتُ حنيني إلى النّخيل ، حملتُ اللّيلَ في سلّةٍ ، حملتُ
المدينهْ
وتناثرتُ حول عينيكِ ، أستطْلعُ وجهي –
رأيتُ وجهكِ جوعاناً كطفلٍ ،
حوّطتُه بالتّعاويذِ
وفتّتُ فوقه ياسمينهْ .

أغنية للمرأة

جانبياً
رأيتُ وجهكَ شيخاً
سرقته الأيامُ والأحزانُ
جاءني حاضناً قواريرَه الخضراء يستعجل العشاءَ الأخيرا
كلّ قارورةٍ خليج وأعراسُ خليج ومركَبٌ
تغرق الأيام فيه وتغرق الشطآنُ
حيثُ تَستَكشِفُ النَوارسُ ماضيها ويَستَشعِرُ الغَدَ الرّبانُ
جاءَني جائعاً ، مددتُ له حبّي
رغيفاً ودورقاً وسريرا
وفتحتُ الأبوابَ للريح والشّمس ، وشاركته العشاء الأخيرا .

المجوس

كانَ في وجهكِ المسافر ، في وجهيَ
نَجْمٌ ، وكان ليلٌ يجوسُ
وتَلاقَتْ يدانا
تَلاقَتْ خُطانا
وتَلاقَتْ رؤانا ،
وهَبَطْنا ، رأَينا وغِبنا
وظهرنا وغبنا
وأتى بعدنا المَجُوسُ .

وجه امرأة

سكَنتُ وجه امرأهْ
تَسكُن في موجةٍ
يقذفها المدُّ إلى شاطئٍ
ضيَّع في أصدافه مرفأه .
سكنتُ وجه امرأهْ
تُميتني ، تُحبُّ أن تكونْ
في دميَ المُبحر حتى آخر الجنونْ
مَنارةً مطفأه .

الطريق

أَلطَّرِيقُ امرأه
وضعَتْ راحَةَ المسافرِ في راحةِ العشيقْ
مَلأَتْ راحةَ العشيقْ
بالحنين وأصدافهِ ،
امرأةْ
حُلُمٌ صيَّرَتْهُ امرأه
مركباً ضيقاً كالجناحْ
لابساً وردةَ الرياحْ
ناسياً مَرفأهْ .

مرآة لحظة ما

صاعدًا؟ كيف؟
لا بجبالكِ من نارٍ
ولا في ثلوجها أدراجُ
لكِ في وجهيَ الكتُوم
رسالاتُ حنينٍ
وفي دمي أبراجُ
كلما قلتُ : أصعدُ
انكسرَ الليلُ
وضاقَ الحنينُ والمعراجُ .

مرآة للكرسي

كُرْسيّكَ الشّائخُ كان طفلاً
أعطيتُه يَديَ
عِقْديْن دميتيْن ــ كم تَدلّى
وجاعَ ، واسترسل حولَ صدري
كم طاف واستراح في عينيّ .
لو يُنسَخُ الكرسيُّ ، لو يَصيرْ
مُسافِراً ، أو نظرةً خجوله
لقلتُ في أهْدابكَ الخجوله
ألمح كلَّ ليلِ
طفولةَ الكرسيِّ ، كلُّ ليلِ
سهرتُه ،
وألمحُ الطفُولَه .

مرآة للوقت

أدعوكَ ، أيامي بلا حارسٍ
وهذه المسافة المقفرهْ
وليمةً للحلم ، عيدٌ من الحنين من أشجارِه المثمره
أدعوكَ أن تحضره .
ساريةُ الأحزان مرفوعةً
يا ليتَ لو ترتاحُ ، لو تنحني
كالغُصنِ في رياحِها المضمره
وها هو الإبريق مرثيّةً
أو زهرةً ،
والشّايُ نافورةً
أدعوكَ أن تصغيَ ، هذا الصّدى
يجيئنا بالعُشْبةِ المُسكره .
. . . وغرّبَ الوقتُ ، الحَنينُ ارتدى
ثيابَنا
صارَ البخورَ الذي
يلفُّ أهدابَنا
يخرجُ من قبّةٍ
قديمة
تخرجُ من جوهره .

حزمة القصب

(وجوه وأقنعة . قاعة بمداخل كثيرة من طراز قديم) .

— ١ —

وجه ١ : أسمع أنّ الناس غاضبونْ
تتّحدُ الصلاةُ في قلوبهم والنّارُ..

قناع ٢ (باستهزاء) :
غاضبونَ؟
سرعانَ ما يَرضون ، يَهدأونْ —
ألسّيفُ والذّهبْ
يُطفِئان نارهمْ . . .

وجه ١ : تشبُّ من جديدٍ

قناع ٢ (بحماسة) :
يشبُّ من جديدْ
يلفّهم كحزمةِ القَصَبْ
ألسّيفُ والذّهبْ ،
ولَهبُ الجريمةْ
(يصمت . يتابع كمن يحلم)
فترتخي القلوبُ

والرَكبْ
تصيرُ مثلَ خِرْقةٍ . . .
ويُطْبَخُ الثّوار كالفراخ في وليمَةْ...

(يضحك)

وجه ١ : تحتقرونَ الناسَ ، تزْربونهم
للذّبحِ ،
تأكلونهم . . .

قناع ٢ (مستغرباً) :
حنجرةٌ جديدةٌ
شَحذتَها بشفرةِ الثّوارِ؟

(بلهجة الناصح)

خَلِّ الشّعبَ يا صديقي ،
فهو ، كما اختبرتُ ، مثلُ وحْشٍ
يظلُّ في غَضَبْ
إلاّ إذا أطعمته للسّيفِ
أو لقّمته الذّهَبْ .

(يخرج)

(أقنعة منحنية حتى الأرض . في إحدى الزوايا تقف امرأة كالتمثال ، تحضن جمجمة) .

قناع ١ : (يبدو كالبرميل لا رأس له ، يخاطب وجه ١ مشيراً إلى الأقنعة المنحنية) :

وجه ١ :   ألشّعبُ ، تعويذتُكَ الدّائمةْ
رأيتَ؟ (يشير باحتقار إلى الأقنعة المنحنية)
لا ، صورتُكَ الغاشمةْ
عرضتَها .
ألشّعب ليس قشاً
تحنيه ، أو قناعاً...

قناع ١ :   (ثائراً) :
خذوهُ :
خلّوا رأسَه هديّةْ
كأساً من العظام ،
آدميّةْ .

(يخرج بعض الأقنعة وهم يجرّون وجه ١)
(تدخل أقنعة جديدة) .

ــ ٢ ــ

قناع ٢   (إلى قناع ١ ، مقدماً له جمجمة بشكل كأس) :
أولى هداياي إلى مولايَ ،
والحضورُ يشهدونَ... (مشيراً إلى الأقنعة)
أخبروهُ ،
تَقَدّموا . . .

قناع ٣   (يتقلد جمجمة . يتقدم ، يقف وقفة عسكرية أمام قناع ١) :

أصواتُهُم

تمتدُّ تحت خطْونا

كَدَرجٍ . . .

قناع ٤ (يتقلد ساعداً . يتقدم بخطوات عسكرية إلى موازاة قناع ٣) :

أكتافُهم

لَيِّنةٌ ،

حمراءُ كالوسائدِ

قناع ٥ (يتقلد فخذاً وساقاً . الحركة ذاتها) :

أجسادهم

منْفوخَةٌ كجثَةِ الصحراء ،

والصَّحراءُ كالموائدِ

قناع ١ (بصوت أجش ونبرة مجنونة) :

ألرّمح ، ها . . .

في القلب والضّميرِ

في سُرّة الحُبْلى ، وعينِ الطّفلِ ، في الشّهيقِ والزّفيرِ

والشّجر القريب والكواكب البعيده

ألقتل ، ها... بذاريَ الوحيدُ ،

ها ها...

أرضيَ الوحيدهْ .

(الجميع يضحكون بجنون)

أربع أغنيات لعزمة القصب

الجائع

يَرسمُ الجُوعَ على دفترِه
أنجماً أو طُرُقا
ويُغطِّي الوَرقا
بمناديلَ من الحلْم ـ
لمَحْنا
شمسَ حبٍّ حرّكَتْ أهْدابها
ورأينا شَفَقا .

النوم والنهوض من النوم

يصنع في نومِهِ
نموذجاً لثورةٍ جامحهْ
تعانق المستقبل الطالعا ،
يَنهضُ من نَومه ـ
تصير أيّامُهُ
ببغاءَ . . .
تبكي اللّيلةَ البارحهْ
وحلمه الضّائعا .

الشعب

تجمَّع الشَّجَرْ
أثقله الصُّراخُ والحَنينُ كالثَّمر
وهبَّ في مسيرهْ
حول ضفاف النَّهر . كانَ رعدٌ
يَرجُّه كأنه الشَّرزْ ـ
وصُعِق الشجَرْ
حزْناً على طيوره الأسيره
في الجانب الآخر من خاصرةِ النَّهَرْ .

الغضب

غضب الفراتُ ـــ
في ضِفَّتيه حناجرٌ
أبراجُ زلزلةٍ ، ورعْدٌ ،
والموجُ أحصنةٌ...
رأيتُ الفجرَ مقصوصَ الذؤابهْ
والماءَ مسنونَ الهديرِ يسيلُ محتضِناً حِرابَهْ .
غضب الفراتُ
لا النارُ تطفئ ذلك الغضبَ الجريحَ ولا الصّلاةُ .

تيمور ومهيار

(ردهة في القصر ، تيمور وحوله حراس مسلحون)

ـ ١ ـ

تيمور (بغضب) :

هاتوهُ هاتُوا حمم البركان ، هاتوا نَهمَ الضِّباعِ

لُفّوهُ بالجرذان والأفاعي

هاتوهُ واسْحقوهُ...

(تنصب خشبة تغطيها أمشاط الحديد . يُمدد عليها مهيار . يربط ، يجلد حتى يتقطع لحمه . يسمَّر رأسُه بمسامير حُميت في النار . يؤخذ إلى السجن . يبطح على وجهه . توضع أسطوانة من الحجر على ظهره . تقيد بالحديد يداه ورجلاه) .

ـ ٢ ـ

(تيمور ، مهيار ، حراس مسلحون)

تيمور : ألم تكن في السجن؟ كيف جئتَ؟

انْسللتَ من شقوقِهِ؟ هدمتَه؟ أخرجك السّجّانْ؟

مهيار : أخرجني سُلطانْ

كالشّمس لا يموتُ ،

كالإنسانْ

(يمدد بين خشبتين . يقطع رأسه . يقطع جسده إلى أجزاء صغيرة تُرمى في جبٍّ للأسود . الأسود لا تأكلها ، بل تنحني وتبتعد عنها) .

ـ ٣ ـ

(جمهور ، مهيار ، تيمور ، الساحر)

أصوات : شبيهُه . كأنه مهيارْ
يعودُ ، كيف عادْ
يا سيّدَ الأسرارْ
يا ساحرَ البلادِ كيف عاد؟

تيمور : شبيهُه؟ مهيارْ . . .
أموتُ ، كلُّ خَلجةٍ طاعونْ
أموت . . . كلّ عُضْوٍ يفرّ من ثيابي ،
يدورُ كالمجنونْ
مهيارُ؟ عادَ ، أين... أين ساحرُ البلادْ
ماذا تَرى؟ رأيت؟ كيف؟

الساحر : . . . ثوراً
أُريد ثوراً أسودَ الجبين والقَرنين ،
تحت فكّه السُفليّ شامتانِ ،
لكي أرى الآتي كما يراني...

تيمور : أخْرِجْهُ من قميصهِ...

الساحر : أمسخُهُ!

تيمور : جرادةً ، أو نملةً عرجاءَ ، أو حِرباءْ...

الساحر : مُرْ لي بكأسِ ماءْ...

(يجيء الثور . ينفث في إحدى أذنيه فتصير اثنتين . ينفث في الثانية فيصير الثور ثورين . يأخذ بذاراً يبذره ويحرثه . نبت الزرع وأينع وحُصد . ذُرّي وطحن وعجن وخبز وأكل في ساعة واحدة . أخذ كأس الماء ونفث فيها . أعطاها إلى مهيار وأمره أن يشربها . يشربها مهيار كلها) .

الساحر (إلى مهيار) :

ماذا تُحسُّ الآنَ؟

مهيار : كلّ جزءٍ

في جسدي يَنبوعْ

(يبتسم . صمت .)

واشتدّت الحياةُ في عروقي . . .

الساحر (إلى تيمور بيأس) :

كأنّه من طينةٍ

مجهولة الفُروعِ والأصولِ ــ أنتَ نارٌ

في الأرض ، وهو نارٌ في الأرض والسماءِ ،

وهو النَّفَسُ المرْوعُ

في رئةِ الحياةِ . . .

تيمور (بغضب الوحش) :

إن سيفي

أحدُّ

إنَّ فتكي

أشدّ . . . لن ينهضَ بعد الآنْ ـ

أنا هو الجحيمُ والديّان .

(يصنع من النحاس تمثالاً مجوفاً بشكل ثور يحشوه نفطاً ورصاصاً وكبريتاً وزرنيخاً . يدخل مهيار في جوفه . يشعل فيه النار . يلتهب وينصهر ويتحول كل شيء إلى رماد .

تهب ريح تملأ الفضاء سحاباً أسود ورعوداً وصواعق وأعاصير . يسودّ ما بين السماء والأرض ، ويمكث الناس أياماً حائرين لا يميزون بين الليل والنهار . يتحرك الرماد ويخرج منه مهيار) .

الراوي : وقيل صارت تُمطر السماءْ

ناراً على المدينةِ . استُنْبِلَتْ

فانْسحقت واحترقَتْ ،

وبقيتْ زماناً

يخرج من أنقاضِها دخانٌ

يشمّه الناسُ فيسقطونْ

موتى ،

ومهيارُ دمٌ وماءْ

والأرضُ مثل وجههِ ،

تبدأُ ، مثلَ صوتِه...

والناسُ يُولدونْ . . .

أربع أغنيات لتيمور

مرآة للشرع

فاجئْ
جسدَ العذراءْ
جَسَدَ الحُبلى . . .
فاجئْ وافتكْ
لا تتركْ شيخاً أو طِفلاً . . .
هذا شرعي .

الغزو

يَخترقُ العُصفورْ
والخيلُ والنّساء والأرصفه
تُقْسَمُ كالأرغفةْ
بَين يَديْ تيمورْ.

هم

جاؤوا
دخلوا البيت عراةً
حفروا
طمروا الأطفالَ ، وعَادوا . . .

السيل

مهيار غنّى حنًا ، برّا صلّى أذانْ
بارك وجهَ الجنونْ ،
ذَوّب في صوتِه
جرَح العصور ، اشتهى
لصوته أن يكونْ
سيلاً ، وكالسّيل كانْ...

مرايا وأحلام حول الزمن المكسور

الماضي

كم حملتُ الحجرْ
من تلال سمرقندَ، صُغْتُ الحجرْ
حربةً،
أو قلادَه
لعشيقاتيَ الجواري،
كم نسجتُ البشرْ
خيمةً،
أو وسادَه...

الحاضر

زَمَنٌ يجري ، زمنٌ يهرب مثلَ الماءِ
وأنا أجري...
كلُّ نهارٍ سكّينٌ في أحشائي
والليلُ حرابٌ

أشعرُ أنّ الشّمسْ
تَعْرى
ترقدُ فوق سريري مثلَ امرأةٍ ،
حين يقالُ : «قطعنا رأسْ» . . .

مرآة طاغية

سنبلةً سنبلهْ
لا تتركوا سنبله
فإنّ هذا الحصادْ
فردوسُنا المستعادْ
بلادُنا المقبله

ومزّقوا القلوبَ قبل الصّدورْ
واقتلعوا الجذورْ
وغيّروا هذا التّرابَ الذي
أقلّهم ،
وامْحوا زماناً روى تاريخَهم
وامْحوا سماءً حَنَتْ عليهمُ...
سنبلةً سنبلهْ
كي ترجعَ الأرض إلى عهدها...
سنبلةً سنبلهْ...

الرصاصة

رصاصةٌ تدورْ
مدهونةٌ بألق الحضاره
تثقبُ وجهَ الفجر ــ كلُّ لحظةٍ
يُعاد هذا المشهدُ ــ
الحُضورْ
يُجدّدون جرْعةَ الحياة ، يَنشطونَ ، لا ستاره
لا ظِلّ ، لا استراحةً :
ألمشهدُ التّاريخُ ،
والمُمثّلُ الحضاره .

مرآة السياف

ـ هل قلتَ إنّكَ شاعرٌ؟
من أين جئتَ؟ أُحسّ جلدَكَ ناعماً...
سيّافُ تسمعُني؟
وهبتكَ رأسَه ،
خذهُ ، وهاتِ الجلْدَ واحذرْ أنْ يُمسَّ الجلدُ
أشهى لي وأغلى . . .
سيكونُ جلدُك لي بساطاً
سيكونُ أجملَ مخملٍ ،

هل قلتَ إنّكَ شاعرٌ؟

الشاعران

بين الصّدى والصّوت شاعرانْ
ألأولُ النّاطق مثلُ قمرٍ
مُكسّرٍ،
والآخر الصّامت مثلُ طفلٍ
ينامُ كلّ ليلةٍ
بين يدي بركانْ.

دمشق

دمشقْ
قافلةُ النجومِ في سجّادةٍ خضراءْ
ثديانِ من جمرٍ وبرتقالْ
دمشقْ
أَلجسد العاشق في سريرِهِ
كالقوس ،
والهلالْ
يَفْتَحُ باسْمِ الماءْ
قارورةَ الأيامِ ، كلَّ يوم
يدورُ في مدارك الليليّ
يسقط في بركانك الشّهيّ
ذبيحةً . . .
والشّجر النائم حول غرفتي
ووجهي
تُفّاحةً
وحبّي

وسادةٌ ، جزيره . . .

لو أنها تجيءْ

لو أنها تجيءْ

دمشقْ

يا قَمر الليل ويا سريرَهْ .

مرآة لملك الحريم

تَقدّمي ، من أنتِ يا قبيلَةْ
لا ذَهباً حملتِ ، لا دِمقْساً
للملكِ العظيمْ
لا خيلَ لا لُباناً لا حجراً كريمْ
ولا أرى جديلَةْ
لِمن ، لماذا هذه المسيرَةْ؟
كوني ، إذن ، من خَدَم الأمير
أو مِن خدم الأميره .

بيروت

1

يَسكنُ في بيروتْ
والأرض في عينيه أبجديّةْ
وخمسُ جامعاتْ
والصّخر تفّاحٌ وأغنيات .
لكنّه يموتْ ـ
يموتُ في تَمتمةْ
كأنّه يسكن في جمجمه
بغير أيامٍ ولا هويّه .

2

كانت المائدةْ
غُرفاً ،
يتصايَحُ فيها الضّيوفْ
كان لحمُ الخروفْ
جَبلاً ، والشّرابْ

ساحراً حوله يطوفْ
وعلى الشّرْفة الذهبيّة في قبّة المائده
كانَ وجهٌ يبيدُ مع الأوجه البائدهْ ــ
كانَ وجهُ الكِتابْ .

3

عائشةٌ مرّت ، فكلُّ ليلِ
تَحتَ ، وكلَّ ناقة مصباحْ
لِلجسد الضّرير أو للزّمنِ الضّريرْ
عائِشةٌ تجتاحُ ــ لونُ الشّهوة اجتياحْ
راقصَها الأميرُ وهو لابسٌ قبّعة الشّحاذِ
أو راقصها الشّحاذُ وهو لابسٌ قبّعةَ الأميرْ
سامرَها غنّى لها حتى ذَوَى الكلامْ
لفَّ عليها زندَه وغطّى
سُرّتها ، ونامْ . . .

مرآة لزيد بن علي

أستَشرفُ المكتوبْ
في صفحةِ الخلافه
مَرسومةً كالقبر تحتَ راحتيْ هشامٍ :
رأسكَ بين النّخل والرّصافَه
مُهاجرٌ
والجسَدُ المصلوبْ
يُنثرُ مثلَ الصّوتْ
في نَهَرٍ . . .
ـ لا ، لن يحولَ سيفٌ
لا ، لن يحولَ موتٌ...
لي وَطنٌ في الماءِ ـ غيرُ الموتْ
يَجهلُ ،
غير الصّلْب والحَريقْ
يجهلُ أن يُقرّبَ المسافَهْ
ما بيننا ،
ويفتَح الطّريقْ .

واخترقَ النصْلُ جَبينَ زيدٍ ،
ونُكّستْ راياتُه . . .
ــ ارفعوهُ
غَطّوهُ ، خَبّئوهُ
عن أعينِ الأعداءْ
هُنا ، هُنا . . .
لَفّوهُ بالأصواتِ بالوجوهْ ،
بالعُشْبِ خَبّأُوهْ
في الماءِ ، في ساقيةٍ خضراء .
وها همُ الأعداءْ
يأتونَ . . .
بعدَ لحظةٍ رأوْهُ معلّقاً
يُحْرَقُ فوقَ الماءْ
يُنْثَرُ فوقَ الماءْ ــ
ألجسْمُ يَصّاعَدُ في رمادٍ
مُهاجرٍ كالغيمةِ الخفيفَهْ
والرأسُ وَحْيُ نارْ
عن زمنِ الغُيوبِ والثّورةِ والثّوارْ
يَقرؤهُ السيّافُ للخَليفَهْ . . .

مرآة رجل يروي

لو أنني وُلدتُ قهرمانْ
في القَصْر،
أوْ مزيِّناً لزوجة الخاقانْ
لكنتُ أقواساً على الدّروبِ
لكنتُ قوّاماً على الرؤوسْ
أصنعُ منها النُّقْلَ والندامى
والخمرَ والكؤوسْ
أصنع منها نكهةَ الشّعوبِ.

مرآة لزرياب

كلّ شيء يغنّي كزريابَ ،
سيفُ الإمارَهْ
وحذاء الأميرة ، والنّفط ــ عصرُ الأغاني
عربيٌّ ،
وتعويذةُ الجحيمْ
والصّلاةُ ، ومقصورةُ الحريمْ
ودَمٌ يُسْدِل السّتارَهْ .

مرآة الفقير والسلطان

(ـ ماذا؟ ألا تخافُ؟

ـ لا قصَبٌ عندي ، ولا خِرافٌ

ومَرّةً ، غرزتُ في مكانٍ

أصابعي ، فانْفتحَ المكانْ

وبانَ شِقٌ خَرَجَ الدُّخانْ

مِنْ فمِهِ ، وجاءَ ثعبانٌ كبيرٌ أصْفَر

أخذْتُهُ ، فَركتُه

وعندما حدّقتُ في رمادِهِ ، تلاشى . . .

ـ وحَرسُ السلطانْ؟

ـ طارَدني ، فجاءَ فرسانُه

وكنتُ في خَلوتي أنامُ ، فانْتبهتُ

رأيتُ قُدّامي

نعامةً ، أو ناقةً

نسيتُ ، لكنني

ركبتُها ،

فأخذَتْ تمشي

في السَّقْفِ ، والفرسانُ ينظرونْ
فَبُهِتوا ، وسقطوا من خوفِهِم ، وماتوا ،
وبعدها ، لم يجرؤ السلطانْ
على دخول بيتي . . .)

امرأة ورجل

(ـ رأيتُ أنّ فارساً
من السماءِ حاملاً
قارورةً يملؤها تراباً ، قَدّمها إليّ ـ
كان أحمراً يسيلُ منه دمك ـ انْقلَعْتُ
كالعشبة من سريري . . .
ـ اطمئنّي ،
ألحيرةُ التي ترجُ نفسي تزولُ ،
إنّ ضوءاً يشعُ ـ كلُّ جوعٍ
جوعي
وكل جُرْحٍ
جرحي ،
وكلّ موتٍ . . .
حُلْمُكِ يَسْتنْفِرُ في كتابي
حروفَه والنارَ والمجامرا
حلمكِ يُغريني كي أُسافِرا
في هذه الحَفْنةِ من تُرابي . . .)

مرآة الحجاج

(. . . ليس له وراءْ
يرفضُ ثَديَ أمّهِ :
كانَ اسمُهُ الحجّاجْ .
وثقبوا فأراً
وثقبوا وراءه
ودهنوا بدمه الحجاج
وذبحوا تيّساً ودَهنوا بدمه الحجاج
فالتذَّ بالدّماءْ
صارت له رضاعةً وأمّاً .

واستطرد الراوي :
. . . وصعد المنبرَ في يديهِ
قوسٌ ، وفوقَ وجهه لثامْ
وقال ، بالسّهام والقناع ، لا بالصّوتِ والكَلامْ :
«أنا ابنُ جلاَ وطلاّع الثنايا . . .»
. . . أنا هو السّؤالُ والنّبراسْ

أنا هوَ الفَرّاسْ ـ

ويلٌ لمن يكون من فراشي...)

وَزَلزِلَ المكانُ

واهتزَّتِ البلادُ مثلَ شجرَهْ

وسقط المسجدُ مثلَ ثمَرهْ

وسقط الزّمانُ .

مرآة الرأس

(ـ سايَرْتُهُ ، رصدتُهُ
غلغلتُ في جفونِه
أيقظْتُ كلَّ شهوتي هجمتُ واحتززْتُهُ . . .
وجئتُ .
كانتْ زوجتي نَوارْ
تفتحُ باب الدارْ :
ـ أوحَشْتَني ، أطلتَ ، كيفَ؟
ـ أبْشري ،
جئتكِ بالدهر ، بمالِ الدَّهرْ
ـ من أينَ ، كيفَ ، أينْ؟
ـ برأسِهِ . . .
ـ الحسينْ؟
ويلَكَ ، يومَ الحشرْ
ويلَكَ لن يجمعني طريقٌ أو حلمٌ أو نومْ
إليكَ ، بعدَ اليومْ . . .)
وهاجَرتْ نَوارْ .

مرآة الشاهد

وحينما استقرّتِ الرّماحُ في حشاشةِ الحسينْ
وازّينَتْ بجسدِ الحسينْ
وداستِ الخيولُ كلَّ نقطةٍ
في جسدِ الحسينْ
واستُلبتْ وقُسّمت ملابسُ الحسينْ ،
رأيتُ كلَّ حجَرٍ يحنو على الحسينْ
رأيتُ كلَّ زهرةٍ تنامُ عند كتفِ الحسينْ
رأيتُ كلَّ نَهْر
يسير في جنازة الحسينْ .

مرآة لمسجد الحسين

ألا ترى الأشجارَ وهْي تمشي
حدباءَ،
في سُكْرٍ وفي أناةْ
كي تشهدَ الصّلاةْ؟
ألا ترى سيفاً بغيرِ غمدِ
يبكي،
وسيّافاً بلا يَدينْ
يطوف حول مسجدِ الحسينْ؟

مرآة الحلم

خُذيهِ ، هذا حُلُمي
خيطيهِ والبسيهِ
غِلالةً .

أنتِ جعلتِ الأمسْ
ينامُ في يديَ
يطوفُ بي ، يدورُ كالهديرْ
في عرباتِ الشمسْ
في نَوْرسٍ يَطيرْ
كأنّه يَطيرُ من عينيَ .

مرآة التاريخ

(. . . بَقيَّةُ الرَّطوبَة الأولى
تجفَّفَت ،
وانْعصرتْ من طينها السّاعاتُ ، ما تَبقّى
صارَ إلى ملوحةٍ
أو ربّما صارَ إلى مرارَهْ .)
وقال آخرونْ :
(. . . خلاصةُ الزّرنيخ بعد مزجها القويَّ بالرّمادْ
أو عرق التُّراب والحجارَهْ .)
وقيل : مثلُ حجَرٍ
يَرْشحُ منه الماءْ .
وقيل : فيه ماءْ
تأخذهُ الشّمس لها غذاءْ
تصنعُ من فُتاتِه البخارَ ، أو تصبُّه كالجَمْر
في حُفرةٍ عظيمةٍ كالدّهرْ ،
ثمّ يعودُ مطراً . . .
وقال آخرونْ :

(. . . دوّامةً
وهو كمُتَجنّونْ
يغرفُ ماءَ نهرٍ
يصبّه في جَدْولٍ
يصبُّ من جديدٍ
في ماء هذا النَهْرْ . . .)

. . . ووقفَ الماءُ معي زماناً ،
تخلخلت مراكبي
وغابتِ المناره
وصارت الأمواج كالحجارَهْ ـ
هل بلغَ التّاريخُ منتهاهُ؟
هل أومأتْ شمسي إلى سواهُ؟
أبحرتُ فيه زمناً
رأيت ما رأيتُ ـ كلُّ جوهرٍ
رأيتُ كلَّ طيبٍ ،
رأيت خيزرانةً
تمتدُّ مثلَ مَركبٍ
يصعدُ من أطرافهِ لهيبٌ
والشّمس والأيامْ
كالسّمكِ الطّافي ـ

وانقلَبَ المركبُ ،
صارَ مرجلاً يفورْ . . .
وقال آخرون :
(. . . يسلكُ دربَ الشّمسْ ،
فحينما تدخلُ في السّنبله
وحينما تدخلُ برج الحوتِ
أو تكونُ عند القوسْ
تشتدُّ أمواجهُ
وتكثر البلبله .)
وقال آخرون :
(. . . فيهِ من المَحار
ما يخافُ أو يحنُّ مثل أُمّ
والقصَبُ المضيءُ
فيهِ
الغامضُ الشّريدُ
واللّؤلؤُ القريبُ والبعيدُ
والعنبر المدوّر الأزرقْ...
وحينما يبلعُه الحوتُ
يطفو ، وبعد برهَةٍ ، يموتُ
وقبلَ أن يجرفه التيارُ
أو يغرق

نَشقّهُ
ونأخذ العَنْبرْ
من جوفِه
كقِطع الجبال أو أكبر . . .
. . . ومرّة ،
غسلتُه بخلٍّ
أطعمتُه المغنيسيا
وعسلَ النّحْل وماءَ الزّاجْ
وجوهر الزّجاجْ . . .)

وقيلَ : كرسيٌّ من الزُّجاج فيه مركبُ
ملتصِقٌ بالشّمس فيه لؤلؤٌ
أو سرطانٌ تائهٌ كالموج ،
والتاريخُ مثلُ طائرٍ متبسطٍ في جَسد الإنسانْ
يصدحُ أو يطير أو يَعيشُ
في القبور . . .

(ـ . . . وَهْوَ غُولٌ
يظهرُ في الليالي ،
ينامُ في الطّريق أو يحومُ
يُزيلُ كلَّ باقٍ

يُتيه كلّ سائرٍ
ويملأُ العامرَ والخرابَ...
هكذا ، يقولُ بَطْليموسُ
والكوكبُ الذي يُسمَى الكلبَ ،
والنّجومُ ـ)

. . . أيتها السّوانحُ اكتَنزتُ ـ
باضَت تماثيلكِ في هوائي
أجنحةً تطيرُ في ثيابي
هواتِفاً سمعتُها تغنّي
حاولت أن أراها ،
لكنني عجزتُ .

مرآة الأرض

هذا الذي يَلِجُ في سريرتي
يقتلعُ النّخيلَ والقبابَ والأجراسْ
يضربُ وجهَ الأرضْ ،
هذا الدّمُ الرّافضُ ، هذا الرّفضْ
تلهّفٌ آخرُ ، واشتعالٌ
باسْمِ الغدِ الطّالعِ باسْمِ الأرضْ —
مملكةِ التّاريخِ ، والحضورِ ، والأعراسْ
تلهّفٌ آخرٌ ، واشْتِعالٌ
بالزّمنِ الفاتحِ راحتيهِ
مثليَ ، بالأرضِ ونورِ الأرضْ .

الممثل المستور

قمر الغوطة

يَدبُّ في عروقي
صَحْوٌ ، وفي رمادي ،
أقومُ والعالَمُ حول وجهي بيتٌ ، وكلّ
زَهْرةٍ قصيدهْ .
يَرْتجف التّاريخُ كالطّريدَهْ
يَنتعِشُ التّاريخُ

ــ أيّ نارٍ
أطفأتَ ، أيّ نارٍ
أشعلتَ يا مهيارْ؟

هبطتُ في منارةٍ
حللتُ في قيثارْ
وكانتِ الأوتارُ مثلَ جرحٍ ينزُّ ، والحياةْ
سَجّادةٌ في القصر ، والتّاريخ مثلَ خرقةٍ يَجْرفُها الفُراتُ
وكلّ ما للأرضِ والسّماء من طيورٍ
فاكهةٌ تنضجُ ــ واختلَطْنا
وجهيَ وجهُ الشّارعِ ، الفرسانُ والحُصونْ

والزّمنُ الملفوفُ حولَ النّاس كالوشيعَهْ
والجامعُ الواقفُ كي تُسافِر الطّبيعَهْ
أو يرجِعَ الأذانْ .
وقائلٌ يقولْ :
قرأتُ أفلاطونْ
عرفتُ ما يكونْ
سيّدةُ القُصور قهرمانَهْ
والقَمرُ الطّالع قهرمانْ
يسكنُ في حانوتْ
يولَدُ ، حول فخذِها ، يَموتْ . . .

وابْتدأَ الطّوفانْ
واختلَطَ المصبُّ ـ قاسيُونْ
نَهْرْ
وتحتَ بردى طريقٌ
لراهبٍ كان اسمهُ بحيرَهْ
ولِلكلام شَجَرٌ ، وللخُطى حنينٌ
والله في البيوتْ
يموجُ كالبحيرَهْ .
وابتدأَ التاريخُ ، وابتدأنا ـ
. . . ـ يا أيها الممثّل المستورُ يا صوفيَّنا الكبير
ها نحنُ ذاهبونْ

ويعلمُ الله متى نجيءْ
نعرفُ أنّ الليلَ سوف يبقى
نعرفُ أنّ الشمسَ سوف تبقى
لكننا نجهلُ ما يكونْ
من أمر قاسيونْ ـ
هذا النبيُّ الأصفرِ المضيءْ
وما يكونُ المشهدُ الأخيرْ
يا قمر الغوطةِ ، يا صوفيَّنا الكبيرْ .
أصرخُ من دهليزْ
في قلعةِ الرّماد ـ صرتُ جرحاً
في جَسدِ القلعة ، صرتُ غيماً
يعانِقُ الشّرفةَ ، والإفريزْ ،
أصرخ من دهليزْ :
أحتقرُ الأرضَ التي تكونْ
لؤلؤةً في جوفِ بلّوره
أحلمُ بالحدود بالبلدانْ
مفتوحةً كالبحر ، منذورَهْ
للحبِّ ،

لونُ الحاجز العُبودَهْ
والبَرصُ الشّمسيّ ، والسّكْتَةُ ، والبرودَه
في جسد الإنسانْ .

الغائب قبل الوقت

أسألتني؟ مُتْ أوّلاً ، أو فَاشْتعِل كالجُرح
واهبطْ في رمادي
واسألْ . . . أتسألُ عن بلادي؟
جسدي بلادي .
من أنتَ؟ هل واكبتَ هَرْولةَ الكواكبِ
وانْحدرتَ مع السّيولِ
طلعتَ في شفتَيْ جدارٍ
زَهْرةً؟

ألَبِسْتَ أجنحةَ الفَراشةِ ، غِبْتَ في أحشاء صَخْرهْ
وبسطتَ راحتَكَ ، افترشْتَ الشّمسَ ،
صِرْتَ هسيسَ غابَهْ
أسمعتَ أجراسَ الجبالِ ترنُّ في عُنُقِ السّحابَهْ؟
مَن أنتَ؟ آ ، ها... ذاتَ مرّهْ
كنّا ، مشينا ذات مرّه :
أنتَ عبدُ الطّريقْ
خِرْقةٌ في الطّريقْ .

أنتَ جبّانَةٌ وعاده . . .

وأنا الفتْح والرّياده . . .

وتحت أهدابي مَدى أحصنَةْ
تَشْبَحُ ، والأشباحُ والأمكنَةْ
قوافِلٌ للخبز والبقولْ
والزّهَرُ الطّالعُ والأنهارُ والسّهولْ
أحصنةٌ تشبحُ ، والصّهيلْ
جرحٌ ، وللجبالِ وَسْوَسَاتٌ . . .

نسَجتُ من معارجي
أجنحةً للصّبرِ
واحتضنتُ الينبوعَ والجُمانةَ البيضاءَ والمرايا :
يا شَجرَ الأيام أيّ شمسٍ
لبستَ في مداري
يا شجَر الدّوارِ ، ـــ
وقلتُ ـــ هذي نارُنا ، وهذا
سُرادِقُ الأخوّهْ
والزّمن الأعجفُ قرنُ ثَوْرٍ يَموتُ
والنبوّهْ ، ـــ
يا فُقراءَ العالم النبوّهْ
فقرٌ ،
وكلُّ فقرٍ

أوّلهُ الفضاءُ ـ

. . . ـ «رافقيهِ

يا نجمَةَ السؤالِ، علّميهِ الإعصارَ والهُبوطَ

في الأعالي . . .»

وليس لي إلاّ دمي ووجهي

وليس لي حنينُ

إلاّ لِنار الحلُم . . .

«ـ انجحرتَ؟

من أنتَ؟

أ، ها . . . ذاتَ مرّة . . .

مُتْ أولاً . . .»

وُلِدتُ في عباءةِ النّبيّ

وجهيَ نارُ زوجةٍ

تحلمُ: «كيف تسقطُ السّيوفُ

كيف يرجعُ الجنديّ . . .»

وجهيَ مثلُ كوكبٍ

يحضُن كلّ جامدٍ وميّتٍ وحَيّ.

أحلمُ باسْمِ العُشبْ

حين يصيرُ الخبزُ كالجحيمْ

حين يصيرُ الورقُ الميّتُ في كتابهِ القديمْ

مدينةً لِلرُّعبْ

أحلمُ باسْم الطينْ
كي أمحوَ الرّكامْ
كي أغمرَ الزّمانَ أستعينْ
بِالنَّسَم الأوّلِ ، أستعيدْ
مزماريَ الأوّلَ
كي أغيّر الكلامْ .

والحلمُ اللّونُ وقوسُ اللّونْ
بعدَ رمادِ الكونْ
يُوقظُ هذا الزّمنَ النّائمَ في بُحيرة الجَليد
أخرسَ كالمسمارْ
يُفرغه كجُرْنٍ
يُسلمه للنّارْ
لِلزّمنِ الطّالع من خميرة الأجيالْ
في قدَم الأطفالْ ـ
ألزّارعينَ بذْرةَ البَكارهْ
ألحاملينَ الضّوءَ والشّرارهْ .

غَسلتُ راحتيّ من حياتي ـ
من هذه الفراشهْ
صالَحتُ بين الدّهرْ والهشاشَهْ
كي أهجر الأيامَ ، كي أستقبل الأيّامْ
أعجنها كالخبزْ

أغسلها من صدأ التّاريخ والكلامْ
أذوب في نسيجها حرارةً أو رمزْ ،
ففي دمي دهرٌ من السّبايا
دهْرٌ من الخطايا
يجرفُه موتي ، وحولَ وجهي
حَضارةٌ تموتْ .
وها أنا كالنّهرْ
أجهلُ كيف أمسك الضّفافْ
أجهلُ غيرَ النّبع والمصبّ والمطافْ
حيثُ تجيءُ الشّمسْ
كالعُشبةِ السّاحرة السّوداءْ
حيثُ تشبُّ الشّمسْ
كالفرسِ الحمراءْ
حيثُ تصيرُ الشّمْسْ
عَرّافةَ الشّقاءِ والسّعادَهْ
عَرّافةً أو أسداً ، أو نسرْ
ينامُ كالقلاده
فوقَ جبينِ الدّهرْ .

مرايا للممثل المستور

مرآة للنوم

ألبَطَلُ السّاهِرُ مثلَ موجةٍ
ينامْ
وأرضنا صبيّةٌ
كانت بلا رأسٍ ولا وسادةٍ تنامْ
والفكرة الفراسةُ الحمراءُ
كانَتْ جثّةً تنامْ
يا رَمَدَ الأعضاء يا مسالِكَ الرّطوبَهْ
في جسدي ـ في جسد العروبه
من أين ، كيف أوقِظُ النّيامْ؟

مرآة للسؤال

سألتُ ، قيلَ : الغُصْنُ المغطّى بالنّار ، عصفورٌ .
وقيلَ : وجهي
مَوجٌ ، ووجهُ العالم المَرايا
وحسرةُ البحّار ، والمنارَهْ
وجئتُ ، والعالَمُ في طريقي
حِبْرٌ ، وكلُّ خَلْجة عباره
ولم أكن أعرف أنَّ بيني وبينه جسراً من الأخوَّهْ
من خُطوات النّار والنبوَّهْ
ولم أكن أعرف أن وجهي
سَفينةٌ تبحرُ في شَراره .

مرآة لفارس الرفض

1

حُلمٌ بثلاثةِ أقمارٍ
يتحطّم ، والجدرانُ رسومٌ
تقطر حبراً ،
والأشجارُ . . .

2

كلُّ ينابيع القرى عبّأت
جرارها ،
وانكسرت فوقهُ .

3

كان وراء صخرةٍ
مُدّثراً بالرّفضْ
مظلّلاً بشمس قاسيونْ
يَغوصُ ، محمولاً على سحابَهْ ،

إلى حنايا الأرضْ
فارسٌ هذا الزّمنِ المعجونْ
بالشّمس والكآبةْ .

مرآة للقرن العشرين

تابوتٌ يلبس وجه الطِّفلِ
كتابْ
يُكتَبُ في أحشاء غُرابْ
وَحشٌ يتقدّمُ ، يحملُ زهرَهْ
صَخرهْ
تَتنفّس في رِئتيْ مجنونْ :
هُوذا
هُوذا القرنُ العشرون .

مرآة للغيوم

أجنحةٌ ،
لكنّها من شمعٍ ،
والمَطرُ الهاطِلُ ليس مطراً
بل سُفُنٌ لِلدّمعْ .

مرآة لمعاوية

شَعرةٌ تقرأ الرّياح وتبني
ملكَها في تفجّر البركانِ
في زفير الأمواجِ
والزّمنِ الهائِم بين الإعصار والرّبانِ .

صورة لخالدة

1 ـ الموجة

خالِدهْ
شَجَنٌ تُورِقُ الغصونْ
حولَه ،
خالِده
سَفَرٌ يُغرِقُ النّهارْ
في مياهِ العيونْ
موجةٌ علّمتْني
أنّ ضوءَ النّجومْ
أنّ وجهَ الغيومْ
وأنينَ الغُبارْ
زهرةٌ واحده . . .

2 ـ تحت الماء

نمنا في ثوبٍ منسوجْ
من عُنّاب الليل ـ اللّيلُ هَباءٌ ، والأحشاءْ

تهليلُ دمٍ ، إيقاعُ صنوجْ
وبريقُ شموسٍ تحت الماءْ .
واللّيلةُ حبلى . . .

3 ــ الضياع
مَرّةً ، ضعتُ في يديكِ ، وكانَتْ
شفتي قلعةً تحنُّ إلى فتحٍ غريبٍ
وتعشَقُ التّطويقا .
وتقدّمت ،
كانَ خصركِ سلطاناً ،
وكانت يداكِ فاتحةَ الجيش ،
وعيناكِ مخبأً وصديقاً
والتحَمْنا ، ضعنا معاً ، ودخلْنا
غابة النّار ــ أرسم الخُطْوةَ الأولى إليها
وتفتحينَ الطّريقا . . .

4 ــ تعب
ألتعبُ القديمُ حول البيتْ
صارت له جرارٌ
وشُرْفةٌ
ينام في أكواخها ، يغيبُ ، كم قلقنا

عليه في أسفارِه ، ركضنا
نَطوفُ حول البيتْ
نسأل كلَّ عشبةٍ ، نُصلّي
نَلمحه ، نصيح : كيفَ ، ماذا ، وأينَ؟ كلُّ ريحٍ
أتتْ
وكلُّ غصن
أتى
وما أتيتْ . . .

5 ـ الموت
بَعد هذي الثواني يجيءُ الزّمانُ الصّغيرْ
وتجيءُ الخطى والدروب المعادَة
بَعدَها تهرم البيوتُ
بعدها يُطفئُ السريرْ
نار أيّامه ويموتُ
وتموتُ الوسادةْ .

مرآة لوضاح اليمن

(أصحوتَ عن أم البنين . . .؟»

وضّاح اليمن

وَضّاحُ ، هل صحوتَ ، هل رأيتَ
حيث انتهى الماضي وما انتهيتَ ،
عباءتي ، ورأسيَ المسروقْ؟
فحصتُ كلَّ ديرٍ
نقّبتُ كلَّ بيتٍ
فتّشتُ كلَّ دنٍّ
سألتُ قهرمانةَ للجنِّ . . .
فأمسِ ، والمفتاحْ
يفتح بابَ بيتها
أُنزلت في صندوقْ
مثلكَ يا وضّاحْ
وأُنزِلَ الصّندوقْ
في البئرِ . . .

كانَ صوتٌ

يقولُ : «كلّ أرضٍ
بئرٌ؟
وكلّ حبٍّ
يعيشُ ـ كلّ حبٍّ يموتُ ـ
في صندوقْ» .

سمعتَني؟ صحوتَ؟
كبوتَ من جديدٍ
ونمتَ؟ كيف نمتَ؟
. . . والنّهر لا ينامْ
وقاسَيون حارسٌ كالدّهر لا ينامْ
والعشب لا ينامْ
والخبزُ ليس نوماً
والحبّ ليس نوماً . . .

مرآة لبيروت (١٩٦٧)

1

الشّارعُ امرأةْ
تقرأ ، حين تحزنُ ، الفاتحةْ
أو ترسُمُ الصّليبْ
واللّيلُ ، تحتَ نهدها ،
محدّبٌ غريبْ
عبّأ في كيسهِ
كِلابه الفضيّة النّائحةْ
والأنجمَ المطفأةْ

والشّارع امرأةْ
تَعضُّ كلّ عابرٍ
والجَملُ النّائمُ حول صدرها
يغنّي
للنّفط (كلّ عابرٍ يغنّي)
والشارع امرأةْ
تسقط في فراشها

الأيامُ والجرذانْ
ويسقط الإنسانْ .

2

ألوردُ مرسومٌ على الأحذيةْ
والأرض والسَّماءْ
صندوقُ ألوانٍ ـ
وفي الأقبيه
يرتسم التّاريخ كالتّابوتْ
وفي أنين نجمةٍ أو أمةٍ تموتْ
يضطجع الرّجالُ والأطفال والنساءْ
بلا سراويلَ
ولا أغطيه . . .

3

جبّانَةٌ ،
وصُرّةٌ في الحزامْ
من ذهبٍ ،
وامرأةٌ خشخاشَةٌ تنامْ
في حضنها أميرٌ أو خنجرٌ
ينامْ .

مرآة الزلاجة السوداء

ـ هل قلتَ : وجهيَ مركبٌ ، جسدي جزيرهْ
والماء أعضاءٌ تحنُّ؟
ـ وقلتِ : صدركَ موجةٌ
ليلٌ يهرولُ تحت نهدي . . .
والشّمسُ محبسيَ القديمُ الشّمسُ محبَسي الجديدُ
والموتُ أغنيةٌ وعِيدٌ؟
أسمعتِني؟ أنا غير هذا اللّيل ، غيرُ سريره اللّزج المُضاءِ

جسدي غطاءٌ ـ
نَسْجٌ حبكتُ خيوطَهُ
بدمي وتهتُ ، وكان في جسدي متاهي
أعطيتُ لِلوَرق الرّياحَ ، تركتُ أهدابي ورائي
حاجَيْتُ ، من غضبٍ ، إلهي
وسَكَنْتُ إنجيلَ الرّضاعَهْ
كي أكشفَ الحجر المسافر في ردائي . . .
أعرفتِني؟ جسدي غطائي

والموتُ أغنيتي وقصرُ دفاتري
والحِبْرُ لي قبرٌ وقاعَه
كُرةٌ تقاسَمَها اليَبابُ وشيّخَتْ فيها السماءُ
زلاّجةٌ سوداءُ يسحبُها التفجّعُ والبكاءُ .
أتبعتِني؟ جسدي سمائي

أشرعْتُ أروقةَ المدى
ورسمت أهدابي ورائي
طُرقاً إلى وثنٍ عتيق
أتبعتِني؟
جسدي طريقي .

مرآة لجسد عاشق

ألجَسَدُ العاشقُ ، كلَّ يوم ،
يذوبُ في الهواءِ ــ صار عِطْراً
يدورُ ، يَسْتحْضِرُ كلَّ عِطْرٍ
يأتي إلى سريرِه
يُغطّي
أحلامه ، ينْحلُّ كالبخورْ
يعود كالبخورْ .
أشعارُه الأولى عذابُ طِفْلٍ
يضيعُ في دوّامةِ الجُسورْ
يجهلُ أن يظلَّ في مياهها ، ويَجهلُ العُبورْ .

مرآة لجثة الخريف

هل رأيتَ امرأةْ
حمَلت جثّةَ الخريفْ؟
مزجت وجهَها بالرّصيفْ
نَسَجَتْ من خيوطِ المطَرْ
ثوبَها
والبَشرْ
في رماد الرّصيفْ
جمرةٌ مُطفأةْ .

مرآة لأبي العلاء

أَذكرُ أنّي زرتُ في المعرّه
عينيكَ ، أصغيتُ إلى خُطاكْ
أذكرُ أنّ القبر كان يمشي مقلّداً خُطاكْ
وكان حول القبرْ
صوتُكَ ، مثلَ رَجّةٍ ، ينامْ
في جسد الأيام أو في جسدِ الكلامْ
على سرير الشّعرْ

ولم يكن هناك والداكْ
ولم تَكُ المعرّةْ . . .

مرآة للعين والزمن

غَنّيتُ ، قلتُ لأيامي : رفعتُ دمي
مدائناً تَلِدُ الإيقاعَ قلتُ لها
مُدّيهِ غُصْناً يشتاقُ ، يحملني
في نُسْغِهِ ، ويضيء الموتَ والكفنا
غنّيتُ ، قلتُ لأيامي : أبَحْتُ دمي
(وربّ جوهر علمٍ لو أبحتُ به
لَقِيلَ لي : أنت ممن يعبد الوثَنا)
غنّيتُ ، قلت . . . فصلْتُ الحُلْمَ عن هُدُبٍ
يخيطُه ، ومزجتُ العينَ والزّمنا .

مرآة لأورفيوس

قيثارُكَ الحزينُ ، أورفيوسْ
يعجَز أن يغيِّر الخميرَهْ
يجهلُ أن يصنعَ للحبيبة الأسيرهْ
في قفَص الموتى سريرَ حبٍّ يحنُّ أو زنديْن أو ضفيرهْ
يموتُ من يموتُ ، أورفيوسْ

والزّمن الرّاكِضُ في عينيكْ
يكبو ، وفي يديكْ
ينكسرُ القِيثارْ .

ألمحك الآن على الضّفافْ
رأساً ، وكلِّ زهرةٍ غناءً
والماءُ مثل صوتٍ ،
أسمعك الآن أراكَ ظلاً
يفرُّ من مدارِهِ ،
ويبدأ الطّوافْ . . .

مرآة الطواف

بَعْد نار الطّواف ، بعد رحيق الجرح والحلْم ،
في سرير القطاف ،
سطعت شهوةُ العلوّ ، تسلّقتُ حنيني ونارَهُ ، ورحلنا
عن بلادِ نَزَّازَةٍ طحلبيّة
في بساط الخليقة الشفّاف .

وأنا اليوم ، نكهةً كوكبية
أتمرأى ، وأصهر الدّهْرَ مرآةَ انخطافٍ لوجهيَ العرّاف
للنّهار المسنون كالقلب ، للفتح ،
لسحْرِ الأبعاد والأطراف .

وجه البحر

كيمياء النرجس

ألمرايا تُصالح بين الظهيرةِ والليل ،
خلفَ المرايا
جَسَدٌ يفتح الطّريقْ
لأقاليمهِ الجديدهْ
في ركامِ العصورْ
ماحياً نجمةَ الطّريقْ
بين إيقاعه والقصيدهْ
عابراً آخر الجُسورْ

. . . وقتلتُ المرايا
ومَزَجتُ سراويلَها النّرجسيهْ
بالشّموسِ ، ابتكرتُ المرايا
هاجساً يحضُنُ الشّموسَ وأبعادها الكوكبيّهْ .

صنين

صِنِّين
يقرأ في غُرفته العاريهْ
لِلّيل ، للأشجار ، للسّاهرينْ
أحزانَهُ العاليه .

ياسمينة

مُحمّدٌ سافرَ في رغيفٍ
ولم يَعُدْ .
وسارةٌ تهبطُ في مغارهْ
تسألُ عن صديقها الشّقوقَ والحجارَهْ
تذوبُ في مِنديلْ
وأحمدٌ يغنّي
أغنيّةَ المهاجر ، الضّائع في بلادٍ
تأكُلُ حتّى جثّةَ القتيلْ
وصالحٌ يدورُ في سحابَهْ
تُوصِلهُ رياحُها الأمينهْ
إلى ذُرى حديقةٍ
لا جثّةٌ فيها ولا ذبابَهْ ..
وكنتُ أستيقظُ في قصيدتي
في شعبيَ الطّفلِ ،
كياسمينَهْ .

القشرة والأيام

قشرةً . غابت المدينةُ ، رملٌ حول رأسي . يداي ، خاصرتي . .
رمحان ، والأرضُ فوهةٌ .
ـ قَشرتُكَ الشّمسُ ، واجْتاحَ وجهكَ الإعصارُ
وخبا البرق : هذه جثّة العالم ، هذا ضريحُها السيّارُ

ويدي قبضةٌ من الأرض لا تحمل غير الأكمام والأحلامِ
غسلتها عيناي ، لا وَرقٌ التاريخِ فيها ولا دروبٌ الكلام
هي بيتي ، وجسري الأخضرُ الطّالعُ بين الأيامِ والأيامِ .

القصيدة

أسمعُ صوتَ الزّمن : القصيدَهْ
يَدٌ هنا هنالك ، القصيدهْ
عينان تسألانْ ـــ
هل أغلق النّسرين بابَ كوخهِ
هل فتح الإنسانْ
بوّابةً جديدهْ؟

يَدٌ هنا هناك ، والمسافَهْ
تَنوسُ بين الطّفل والضّحيّه
لكي تجيء النّجمةُ الخفيّه
وترجعَ الدّنيا إلى الشّفافَهْ .

الأحجار

1

سقطتْ حجَره
فتَفتّح شيءٌ في الجدرانْ
صار البُعد أحنَّ وأشهى . . .
سَقَطتْ حجره
فتغيّر شيءٌ في الإنسانْ .

2

مِن زمانٍ عشقتُ الحجرْ
وانجبلنا معاً وافترقْنا ،
من زمان رأيتُ الحجر
سُرّةً ، والمرايا
موعداً ، والتقينا
وانجرَحْنا ، ونمنا وقمنا
وافترقنا ، وعدنا

وأنا اليوم أنأى وأنفذ ممّا تقول المرايا
فأنا أوّل الشّظايا ، أنا آخر الشّظايا . . .

3

حَجَرٌ يحمي نهد الحبلى
حَجَرٌ يَسْكَرْ
يترنّح في أهداب الشاعرْ
ويصير يمامَهْ
ترقد في أهداب الشّاعر
حجَرٌ يسهَرْ
ويصير ستائر
تتدلّى حول جبين الشّاعر
ويصير غمامه . . .

4

دُلّيهِ يا غمامه
يجهل أن يسيرَ يا غمامه
في لَوْلَبِ الظّلامْ
وحينما يخرجُ صوب النورْ
والجهة الخفيّه
في وطن الكلامْ

أبرأ من براءة العصفورْ
ترميه بندقيّهْ .

دلّيه يا غمامه
خُذيه واغسليهِ
من ليل قاتليهِ
بِالله يا غمامه .

الرغيف

عادَ الرّغيفُ إلى خميرتهِ
يُهاجرُ في قصيده
مثلي،
سَرَيْنا حافِيَيْنِ،
ـ أكلتَ؟
ـ لا .
ـ ودُعتَ؟
ـ لا .
ـ عاندتَ صوتكَ، وَهْو يفتح جرحَه الملكيَّ، يصرخُ؟
ـ لا .
سَرَيْنا
في قاعِ أغنيةٍ، رأينا
سُفُنَ الحروفِ الجارياتِ ـ نقلتُ عن وجهي حُرُوفي
ولبستُ قبّعةَ الخريفِ
كي أفهمَ القبر المسافرَ . . .
وانحنَيْنا

وتنهّد الحَوَرُ الحزينُ يقولُ ، أسمعه يقولُ
أنا والرّغيفُ علامتانِ وكلّ أغنيةِ رسولُ
والماءُ جَمْجمةٌ بعيدهْ .
أنا والرغيفُ دَمٌ ـ سَرَيْنا
بكتِ الشوارعُ وانحنَتْ
رُكَبُ المآذنِ ،
وانحنيْنا . . .

الشهيد

حين رأيتُ اللّيلَ في جفونهِ الملتهبه
ولم أجد في وجههِ نخيلاً
ولم أجدْ نجوماً ،
عَصفتُ حولَ رأسهِ
كالرّيحِ ـ وانكسرْتُ مثلَ قصَبَهْ .

وجه البحر

أسمعُ في مهيارَ
قصيدةً
تَعرِفُ أن تجرحَ ليلَ القَبْر
بالشّمس ، أن تَجيءْ
في قَدَمِ الشّمسِ ووجه البَحْرْ . . .

الموت

حين رأيتُ الموتَ في طريقي
رأيتُ أفكاري
رأيتُ وجهي
قاطرةً تمتدُّ كالضّبابِ
وكنتُ مستجيراً
بالبرقِ ، مرسوماً على التّرابِ .

حوار

لا تقُلْ كان حبّي
خاتماً أو سِوارْ
إنَّ حبّي حصارْ
إنّه الجامحونْ
يُبحرون إلى موتهم ، يَبحثونْ .
لا تقلْ كان حبّي
قمراً ،
إنّه شَرارْ .

الدم النافر

أحلمُ ـ
لَنْ يكونَ هذا الصوتْ
صوتيَ،
أنتَ الجثّةُ الطّريحهْ
أنا الدّمُ النّافرُ من حضارةٍ ذبيحَهْ
يُشعِلُ نارَ المَوتْ
يُطفِئُ نارَ الموتْ.

الوردة

خُذْ وردةً مُدَّها وسادةً ـ
بعدَ حينْ
تَصهرك المهزلَهْ
في حَمأٍ ، في طِينْ
تضمّك القنبلهْ
لِملكها ،
بعدَ حينْ
خُذْ وردةً سمِّها
أُغنيَّةً ،
وَغَنِّ للعالمينْ .

العصفور

أصغيتُ :
عصفورٌ على صنّينْ
يَصيحُ كي تسيطرَ السّكينهْ
كي يُصبح الغناءْ
كشفرةِ السّكّينْ
يجرحُ بالبحّة والبُكاءْ
برودةَ المدينهْ .

المئذنة

بكتِ المئذنةْ

حين جاء الغريبُ ـ اشتراها

وبنى فوقها مدخنه .

الحلم

غبْتَ ، اختفَيْتَ؟ عرفتُ أنكَ سائحٌ
شرَراً ولؤلؤةً وموجَ غوايةٍ
تمضي تعودُ مع الفصولْ
ورأيتُ نارك في الحقولْ
عيناك أجنحةٌ ووجهك طالعٌ
كالأفقِ ، يكتنزُ الشموس ، ويغسلُ الأرضَ الكئيبه
غبتَ ، اختفيتَ؟ رأيتُ وجهكَ في الحقولْ
ماءً يسافر في الجذور إلى مدائنه الغريبَهْ
في العشب ، في نَهَرِ الفصولْ .

الموج

مَوجٌ رفعتُ على أدراجهِ جزُري
ورحتُ أبدأ تاريخي –
أفتّهُ
ألمّهُ
وأنقّيه ، وفي لغتي
مسافَةُ الموت تُخبيني ، وفي ورَقي
مسافةُ الجرحِ ،
موجٌ آمِرُ الصّوَرِ
موجٌ يؤاخي طريق الشّمس ، يفتح في صدري محطّاتِه ،
موجٌ يعلّمني
أنّ الأقاصي مدارُ الحلمِ والسّفَرِ.

المدينة

نمتُ مع المدينهْ
في أول الغصونِ في بدايةِ الجراحْ
كانت على سريري
أقلقَ من سفينةٍ
في اللّجِّ . واللّقاحْ
يخضُّها ، يفتحُ كلَّ عِرْقٍ . . .
واستيقظَتْ ، كانَ السّريرُ نَهْراً
للحبِّ ،
واللّقاحْ
تاريخ عاشقينْ
وكان نهداها مَدينتينْ .

نبوءة

للوطن المحفور في حياتِنا كالقَبْر
للوطن المخدَّرِ المقتولْ
تَجيءُ من سُباتنا الألفيّ ، من تاريخنا المشلولْ
شمسٌ بلا عبادهْ
تقتلُ شيخَ الرّملِ والجرادَهْ
والزّمنَ النابتَ في سهوبهِ
اليابس في سهوبهِ
كالفطرْ
شَمسٌ تُحبُّ الفتكَ والإبادَهْ
تطلعُ من وراء هذا الجسرْ . . .

الغرب والشرق

كانَ شيءٌ يمتدُّ في نَفَق التّاريخ
شيءٌ مزيّنٌ ملغومٌ
حاملاً طفله من النِّفْط مسموماً
يغنّيهِ تاجرٌ مسْمومٌ
كانَ شرْقٌ كالطّفل يسأل ،
يستصرخُ
والغربُ شيخه المعصومُ

بُدّلت هذه الخريطةُ
فالكونُ حريقٌ
والشّرقُ والغربُ قبرٌ
واحِدٌ
من رمادِهِ ملمومُ . . .

سنبلة

وقفت سنبله
بين وجه الشريد وأيامهِ ، وقفت سنبله
وأشارت ـــ
رأيتُ النّهارْ
جرَساً يفتح الشبابيكَ والمدنَ المقفلهْ .

وَقفت سنبله
في مدار الينابيع في شَهْوة الغُبارْ
ورأيتُ العصافير تبني ، وكان المطرْ
سُفناً تجرف الجليدْ
في طريق البراعم والعشب ، كان الشّجر
سفناً تحمل المدائن أو تأخذ القمرْ
في مهبِّ الفضاء الجديدْ .

ساحر

قبلُ أو بعد ،
يولد الكون مربوطاً بقرنَيْ غزالةٍ مسحورهْ
راسماً ظله على الأشجارِ :
غُصْنٌ صورةٌ له
غُصْنٌ يزهر بين المسمارِ والمسمارِ
غُصْنٌ عاشِقٌ حنانَ النّارِ ــ
أنا تاريخ ذلك الغُصن السائح
في غابة الرّؤى والمجاعه
سار وجهي في قبّة الموت
واسترجعَ سحراً يُضيئهُ ، وأضاعهْ
فدعوتُ الجَمْرَ الصديق وبحّرنا
مداه ، وموجه ، وشراعه
وحملتُ العشب الرّضيعَ كأهدابي
وسافرتُ في حنين الرّضاعه
في رياح غريبةٍ منذوره
لدمي جارحاً ،
لِحبّيَ مربوطاً بقرنَيْ غزالةٍ مسحوره .

دمشق

أومأتِ ...
جئتُ إليكِ حنجرةً يتيمه
أقتاتُ ، أنسج صوتَها الشَّفقيَّ من لُغةٍ رجيمه
تتبطَّنُ الدنيا وتخلع بابَ حكمتها القديمَةْ
وأتيتُ ، لي نجمٌ ولي نارٌ كليمه :
يا نجمُ ، رُدَّ لي المجوسَ
وأنتِ يا نارُ استبيحي
فالكونُ من ورقٍ وريحٍ
ودمشقُ سرَّةُ ياسمينْ
حُبلى ،
تمدُّ أريجَها
سقفاً
وتنتظرُ الجنينْ .

الأسماء

سأسمّي التّحولَ ريّانَ أيامكِ الجديدةْ
يا بلادَ الخليفةِ والتّابعينْ
وأسمّي
وجهكِ المغلقَ الدّفينْ
كوكباً ، والقَصيدَةْ
هالةَ الفارسِ الغريبْ
حولَ أيامكِ الجديده .

اللؤلؤة

كيف أمشي نحوَ شعبي ، نحو نفسي
كيف أمضي نحو تَهيامي وصوتي ، كيفَ أصعدْ؟
لستُ إلاّ نَهَراً
حاضِناً لؤلؤةَ الشّعر
وإلاّ
حُلُماً ـ
أنّيَ ضوءٌ
سائحٌ في جَسَد الليلِ ،
وأنّي
جامحٌ أحتضنُ الأرضَ كأنثى
وأنامُ
مُوقِظاً حُبّيَ فيها
لَهباً يَفْتح ،
يَسْتنزِلُ فيها
آيةً ،
أنّي كِتابُ

واعضائي كلامٌ .

كيف أمشي نحو نفسي ، نحو شعبي
ودمي نارٌ وتاريخي ركامٌ؟
أسْنِدوا صدريَ ـــ
في صدري حريقٌ
ومسافاتٌ
وأجسادُ عصورٍ تتجرجَرْ
والتّواريخُ مرايا
والحضارات مرايا
تتكسّر .
لا ، دَعُوني :
إنّني أسمع أصواتاً تغنّي في رمادي
إنني ألمحها تمشي كأطفال بلادي .

كتاب المطابقات والأوائل

(1979)

الكتابة

أَلفضاءُ دمٌ واجتياحٌ ،ـــ
جعلتُ الكتابةَ مَهْوى :

كلماتي تدلّت
جسدي يتدلّى
ورأسيَ يَدْنو

بحث

/ . . . طائرٌ
باسطٌ جناحيْهِ ، ــ هل يخشى
سقوطَ السّماءِ؟ أمْ أنّ لِـ
الرّيح كتاباً في ريشهِ؟ الـ
عُنُقُ استمسك بالأفْقِ
والجناح كلامٌ
سابحٌ في متاهةٍ . . ./

الشعراء

لا مكانٌ لهم ، ـــ يُدْفنونْ
جسد الأرضِ ، يصنعونْ
للفضاءِ مفاتيحَهُ ، ـــ

لم يُقيموا
نَسباً أو بيوتاً
لأساطيرهمْ ، ـــ

كتبوها
مثلما تكتب الشّمسُ تاريخَها ، ـــ

لا مكانٌ . . .

الاسم

سمَّينا
شَجَرَ الزَّيتونِ عليّاً
والشارعَ فاتحةً للشمس ،/
الرِّيحَ جوازَ مرور
والعصفورَ طريقاً . . .

التجربة

حسناً ، لن أنامْ
سأحاول أن أتقرَّى دروبي ، وأعرفَ ما يعرف الآخرونْ .

حسناً ، سوف أدخل هذا الزحامْ ، ــ
خطوةٌ ، خطوتانِ ، ثلاثٌ . . ./

رجلٌ ميّتٌ ، شرَطيٌّ
رجلٌ ميّتٌ ، شُرَطيٌّ
رجلٌ ميّتٌ ، شرَطيٌّ . . ./
/لن تكونَ علينا شهيداً/
ها أنا في محيط الكلامْ
ورَقٌ سابحٌ ، ورأيت كأنّي أكرر ما قاله الآخرونْ
ورأيتُ كأنّي أنامْ .

الأطفال

قرأ الأطفالُ كتابَ الحاضرِ ، ـ قالوا :
هذا زمَنٌ
يتفتّح في رحمِ الأشلاءْ ، ـ

كتبوا :
هذا زمَنٌ شاهَدْنَا فيهِ
كيف يُربِّي الموتُ الأرضَ ،
وكيف يخونُ الماءُ الماءْ .

الشاعر

العالمُ يشحبُ ، والكلماتُ نساءٌ
يقرؤهنَّ ،
يراودِهُنَّ كموتٍ :

ما يقتلُهُ ، يُخْبيهِ
يصنعُ من كَفَنِ التاريخ سريراً آخرَ ، يولَدُ فيهِ .

التائه

لم يكن بيننا مَدَىً ـ
شجر الحبِّ غبارٌ ،
واللّيل مركبةٌ تحمل خطْوي ، وتحمل الصَّحراءَ

لم يكن بيننا مدى ـ
كانت السّاعة عُرْياً
وكان موتي رداءَ :
وارِثُ الرّملِ
يحمل الحجرَ الأسودَ خبزاً
والشمسَ ظِلاًّ وماءَ .

الجنون

كذبوا ــ

لاتزال طريقي طريقي

والجنون الذي قادني لا يزالُ أميرَ الجنونْ

وأنا سيّدُ الضوء ــ

لكنّني كي ألامسَ أقصى المسافاتِ

أخلعُ نفسيَ، حيناً،

وأخرج من خطواتي

وأتوّجُ نفسي

مَلكاً، باسمِ ضوئي، على الظُّلماتِ.

الحوار

ها هُنا نلتقي ونغنّي ونكتبُ
ـ هذا قليلٌ
ونسيرُ، ونهتفُ
ـ هذا قليلٌ
ونشقّ الطريقَ ونهجمُ
ـ هذا قليلٌ.
ونغيّر هذي الوجوهَ ونجرفُ هذا الظلامَ،
ـ قليلٌ، قليلٌ.

[إنه، الآن، يعبر بين الحطامْ
ويقول لأحلامهِ وخطاهُ:
ليس هذا جديراً، ولا كافياً].

وافترقْنا:
سيكون لنا موعدٌ آخرٌ للكلامْ.

أدونيس

قال : هذا الشّجَرْ
لايزال ، كما كنتُ ، في سنوات الصِّغَرْ
ألدّروبُ إليه كتابٌ
والحقولُ الصُّوَرْ .

حي الميدان

جئتُ ، وجاء الصّوتُ ، وجاء الليل / مَزَجْنا
بالنّار ، وبالجسدِ الألوانْ
ورسمنا
نهديْنِ ووجهاً

كان الصوتُ رغيفاً أسودَ ، كان الليل أنيناً ـ
والقمرُ الشاحبُ مكسورٌ
في بيتٍ من خَشَبٍ
في حَيِّ الميدانْ .

قيس

كانَ قيسٌ يقول : اكتسيتُ بليلى
وكسوتُ البَشَرْ

ورأيتُ إليه يُغطّي
وجنتيهِ بنارٍ
ويسامرُ غاباتها ويُطيلُ السّمَرْ .

ورأيتُ إليه يلمُّ القمَرْ
حُفنةً حفنةً من ضِفافِ السّهرْ .

جلقامش

كانَ بيني وبين طريقيَ مثلُ الحداد
حين راحت بلادي تضيق وتجتاحني صبَواتٌ
غيرُ ما كانَ بيني وبين خُطايَ — إذنْ
متُّ ،
وانطفأتْ كلماتي؟

هل أقول ، إذنْ : ضاعَ وجهي؟
هل أقول : ابتكرتُ الرَّمادْ؟

النفوي

ساوَتْني شمسيَ بالأشجارِ
وبالأنهارِ
وبالبؤساءِ/ سَلوها
كيف نَفَتْني

نَثَرتْني في الطُّرقاتِ وفي لهجاتِ الغربةِ ، كَلاّ
لا تَسلوها

أسْلمتُ لتيه الشّمسِ خُطايَ ـ
رضيتُ لوجهيَ هذا المنْفى .

حي الشاغور

شيخٌ : وردةُ أحلامٍ
تذبلُ في عينيهِ ،
ساقُ الوَردةِ عُكّازٌ
مَحنيٌّ
يعرجُ
في
ساقيهِ ،

والأوراقُ جِراحٌ
تتطايَرُ من كفّيهِ .

الثورة

رمزاً ، أو جسراً
لسقوطٍ يأتي
لنهاياتٍ أخرى ، ــ
أتنشّقُ هذا الحجر السّابحَ في رئتيكِ ، وأزفرُ
هذي رئتي
في الجهة الأخرى من ذاكرتي .

غنّيتُكِ في صوت الأحياء ، نقشتك في صمتِ الأمواتْ
وكتبتُكِ في اللهجات ، وفي الطُّرقات ، وكل فضاءٍ ، حتّى
أغرَتني كلماتي
أن أمحو نَفْسي . . .

أرمادُكِ هذا؟ لكن
هل كلّ رماد يصنع وَجْهاً؟
لا أعرفكِ الآنَ ، سؤالٌ :
هل أنتِ الحِبْرُ أم الممحاةْ؟

لا ألمحكِ ، الآنَ ، ضبابٌ :
هل أنتِ الوجهُ أم المرآة؟

الأطفال ٢

هوذا التاريخ ركامٌ
والناسُ دمٌ يتخثّرُ، والأيام قبورٌ/
عن أيِّ فضاءٍ
عن أيِّ دروبٍ تنشقُّ الأيامُ؟

سمع الأطفالُ سؤالَ النار وناموا
ألجسمُ كتابٌ من لَهَبٍ
والوجهُ سلامٌ.

قاسيون

زائِرٌ يقرعُ البابَ/ أهْلاً
بصديق الغِفاريَّ ،
أهلاً .

ـ مَن رأيت؟ وماذا سنفعلُ؟ هذا
مِزْودٌ للطَّريق ، وهذا
غَضَبٌ شاءه الجامحونْ :

لن يكونَ ظلامٌ على قاسيونْ .

أبو تمام

يحدثُ أن يأتيَ ليلٌ وأنْ
يقرأَ للضوءِ كتابَ الظّلامْ

يحدث أن يُصْغي شعري ، وأن
يقولَ للشمس : هنا عهدُنا

صِرْنا دماً فرْداً ، وصار المدى
في وجْهِنا ، مُستقبلاً للكلامْ .

بودلير

شعرٌ في شهواتيَ ، بين جفونيَ ، فوق سريري
شعرٌ/ جسدٌ ،
كالأرض غريبٌ
كالأرضِ أليفٌ ،

والجنسُ قميصٌ من نورٍ .

رينيه ماريا ريلكه

بعد أن تستسلمَ الوردةُ للشمس ، وتذوي
تَرث الرّيحُ الغُبارَ الذّهبيَّ
وتقول الأرض عن أشلائها :
هذه أغنيتي رُدّتْ اليّ .

أبو نواس

لغةٌ ـ فِتْنَةٌ / كلماتٌ ـ دَمٌ
والسماءُ مفترَقٌ
وأنا عابرٌ
بالسَّماءِ يَلتطمُ .

الهامش

كيِ يظلَّ امرؤ القيس وعداً
ويكونَ لعُروةَ أن يُطعمَ الفقراءَ، ـ

رَسَم الغاضبون خطاهم
لهباً واختراقاً،
وأباحوا الفضاءَ.

الأوائل

أول الشيء

كيف أعطيك شكلاً

أيّهذا الصديق الذي لايزال يعاندُ؟ سمّيتكَ الشيءَ ـ قلتُ :
امتلكتكَ . لكنك الآن تنفرُ ، واسمكَ ينفرُ/ ماذا أسمّيك؟
هذا مكانك؟ غيّرتَ نوركَ أم أنني
لستُ نفسي؟ أأنا أنتَ؟ لكنّ ضوءكَ مازال يَسْطعُ ـ كادَ
الحريقْ

أن يجوسَ عروقيَ ملتهماً كلماتيَ ـ مَهْلاً
أين ، أنّى ، وكيف أسمّيك ، أعطيك شكلاً ،
أيّهذا الصديقْ؟

أول الخلق

ها أنا أولَدُ الآنَ ـ

أرنو إلى الناسِ :

أعشقُ هذا الأنين/ الفضاءْ

أعشق هذا الغبار يغطّي الجبينَ/ تنوّرتُ

أرنو إلى النّاس ـ نبعٌ/ شرَرْ

أتقرّى رسوميَ ـ لا شكلَ غيرُ الحنينِ

وهذا البَهاءْ

في غُبارِ البشَرْ .

أول الجسد

زهرة الأقحوانْ
سرقت نفسها من شقوقِ الزّمانْ
فرشتْها سريراً .
رغبت أن تمدّ خُطاها
شارعاً وتوازت

مع سريرٍ على بَرَدى/ والمكانْ
غيرُ هذا الذي يتسَمّى
قاسيون ، وغيرُ السّماءِ ــ المكانْ

زهرةُ الأقحوانْ .

أول الشعر

أجمل ما تكونُ أن تُخلخلَ المدى
والآخرون ـ بعضهم يظنّك النّداءَ
بعضهم يظنّك الصّدى .
أجمل ما تكونُ أن تكون حجّةً
للنور والظّلامِ
يكون فيك آخر الكلامِ أوّلَ الكلامِ
والآخرون ـ بعضهم يرى إليك زبداً
وبعضهم يرى إليك خالقاً .
أجمل ما تكون أن تكون هدفاً ـ
مفترقاً
للصّمتِ والكلامِ .

أول الكتاب

فاعلاً ، أو ضميراً ـ
والزمانُ هو الوصفُ . ماذا؟ تكلمتَ ، أو يتكلّم
باسمكَ شيءٌ؟

تستعيرُ؟ المجازُ غِطاءٌ
والغطاء هو التّيهُ ـ
هذي حياتُكَ تجتاحها كلماتٌ
لا تُقرّ المعاجمُ أسرارَها/ كلماتٌ
لا تجيبُ ، ولكنّها تتساءلُ ـ تِيهٌ
والمجازُ انتقالٌ
بين نارٍ ونارٍ
بين موتٍ وموتٍ .

أنتَ هذا العبور الذي يتقرّى ، ويولد في كل معنى :
لن يكونَ لوجهكَ وَصْفٌ .

أول الحروف

لم يعد للقصيدةْ
غيرُ هذا الصدى ـ
آتياً من رُكام المدائنِ ، مستوحشاً ،
أعيدي :
«لم يعد للصدى
غيرَ أن يتلبَّسَ نارَ الكلامْ . . .»

من رآكِ تجرّينَ خطوكِ بين الحطامْ
غيرُ هذا الكلامِ ـ أعيدي :
«لم يعد للصدى
غير هذي القصيده . . .»

أول الكيمياء

لا أريدُ لمهيارَ أن يترسَمَ خَطَّ السَّوادِ ـ
يكون ، إذن ، عاصياً .
لا أريد لمهيار أن يترسَّمَ خَطَّ البياضِ ـ
يكون ، إذن ، طيِّعاً .
لا أُريد له أن يكونَ القرارَ
ولا أن يكونَ جواباً ـ
بل أريد لمهيارَ أن يتلبَّسَ وجهَ الفضاءْ

مَرْحباً ، زهرَةَ الكيمياءْ
نحن ، هذا الصَّباحَ ، شقيقانِ ـ نِدَّانِ ،
والكونُ فينا سواءْ .

أول العهد

أين صارت رياحُكَ ، مهيارُ ، أينْ؟
لا تقلْ : خانني مداري
لا تقل : ضلّلتني دروبي ، ولم تهدني خُطواتي
أين صارت أغانيكَ ، مهيار ، أينْ؟

ـ أعلنُ ، الآن ، أختارُ هذا المكانْ
كلماتي فؤوسٌ
ولصوتيَ شكلُ اليدَيْن
أعلن ، الآنَ ، أنّيَ حطّابُ هذا الزمانْ .

أول الحنين

حَنّ مهيارٌ للقصباتِ النّحيلة في غابةِ الذّاكرهْ
تقرأ الأرضُ كفّيهِ ،
والليلُ يلبس أهدابَهُ/ الذاكرهْ
عُرُسَ .

كان فجر الينابيع يُتّمِمُ والحبّ يكسو
جسدَ الذّاكره
حَنّ مهيار للنار تلْتهِمُ الذاكرهْ .

أول الشعر ٢

. . . إنه العُرْيُ يكشف عن جثثِ الكلماتِ

إنّه الكونُ يذبلُ
ضيّعتُ ناري

لغتي غيرُها
خطُواتي
لم تعد خُطواتي .

أول اللغة

لم تعد هذه المدينةْ
أفقاً أو مداراً

ينبغي أن نؤسّس حتى نراها
ونرى أننا نراها ،

نظراً لا يزال جنيناً
لغةً لاتزال دفينَةْ . . .

أول الصداقة

في العامِ الألفينْ ـــ
أغنّي الآنَ ، غنيتُ غداً ، أو بعد غدٍ ، أدعوكَ إلى مائدتي
وتكونُ الشمسُ ، يكون الماءُ ، يكون العشب ضيوفاً/
نتخاصمُ : أيّ رؤانا أعصفُ ،
أيّ خُطانا أنأى ـــ
نتصالحُ تحت سماءِ الشّعرِ ،
ونعلنُ مملكةَ الخَصْمَينِ ـــ
ووحدةَ هذينِ الخَصْمينْ .

أول الفروقات

خَرَجَ الشّعر طِفْلاً إلى الشّرفة العربيّة ، ـ
كانت الشمس تَفْتحُ
والريح تمسحُ أهْدابَهُ النبويّةْ :

لا صدىً بين صوتي وهذا الفضاء ، ـ
هل حنينيَ غيرُ الحنينِ ، ندائيَ غيرُ النّداءْ؟

ليس بيني وبين جذوري
ليس بيني وبين حضوري
غيرُ هذي العروق النّحيلةِ في جسدِ الأبجديّةْ .

أول العشق

قرأ العاشقون الجراحَ/ كتبنا الجراحْ
زمناً آخراً ، ورسمْنا
وقتنا :
وجْهيَ المساءُ ، وأهدابكِ الصّباحْ
وخُطانا دمٌ وحنينٌ
مثلهم/

كلما استيقظوا ، قطفونا
ورَمَوْا حبّهم ورمونا
ورْدَةً للرِّياحْ .

أول الجنون

حين جاءت رياحُكِ تجتاح غاباتِهِ الفسيحةْ
قالَ : للموتِ شكلُ الفراشةِ
للجنس وجهُ الجنونْ .

ها هو ، الآن ، يلبسُ ما تلبس الذّبيحةْ
غَدَهُ
أمسَهُ ،
ومداهُ
شَفْرةً ـ وغبارٌ من الكلماتِ ،
أمامَ الجفونْ .

أول الطريق

اَلليلُ كانَ وَرَقاً ـ وكنّا
حبراً :

ـ «رسمتَ وجهاً ، أو حجراً؟»
ـ «رسمتِ وجهاً ، أو حجراً؟» .
ولم أُجِبْ ،
ولم تُجِبْ/ عشقنا

سكوتَنا ، ـ ليست له طريقٌ
كحبّنا ـ ليست له طريقٌ . . .

أول الجنس

غُرفٌ تنحني في سواعدَ ، والجنس يرفع أبراجَه ـ
ارتماءً
في خليج من الحزن ،
حزنٌ
في خليج الخواصر ؛ ـ والجنس يفتح أبوابهُ ـ دخلْنا
كانتِ النار تزرع ، والليل يَجْني قناديلَها ـ مَهّدْنا
تَلّةً ، وردَمْنا
حُفرةً ، وهَمَسْنا
للمدى أن يمدّ يديْهِ...
كان ضوء المرارات كالنّهر ـ تاهتْ
ضفّتاهُ ، جعلنا
ماءَه ماءَنا ، وجعلنا
ضفّتَيْنا لباساً
لهوى ضِفّتيْهِ . . .

أول الاسم

أياميَ اسمُها
والحلمُ، حين تَسهرُ السّماء في أحزانيَ، اسمُها
والهاجسُ اسمُها
والعُرْسُ، حين يُمزَجُ الذّابح بالذّبيحةِ، اسمُها

ومرّةً غنّيتُ: كل وردةٍ
في التّعَبِ، اسمُها
في السّفَرِ، اسمُها

هل انتهى الطريقُ، هل تغيّر اسمُها؟

أول اللقاء

رجلٌ وامرأةٌ
يلتقي فيهما قَصَبٌ وأنينٌ
يلتقي مَطرٌ وغبارٌ، ـ
يتهاوى الرّكامُ،
وتشتعلُ اللغةُ المطفأه
أيّنا الغيمةُ المقبلةْ
أيّنا دفترُ الحزنِ؟ أسألُ
عيناكِ تيهٌ،
ووجهكِ لا يسمع الأسئلهْ،

وأنا منتهى الليلِ، أعشَقُ كي أبدأهْ
وأقول التقى
رجلٌ وامرأه
رجلٌ وامرأهْ . . .

أول الفضاء

جَسَد الأرضِ يَسْتَنبِعُ النّارَ ،
والماءُ أقدارُهُ المَرْجاه/
ألهذا تصير الرياح نخيلاً؟
ألهذا يصير الفضاءُ امْرأة؟

أول الجنس ٢

غرفةٌ شُرُفاتٌ ظلامٌ

وبقايا جراح
جسَدٌ يتكسَّرُ ـ
نَوْمٌ

بين تيهٍ وتيهٍ

دَمنا دائرٌ في حوارٍ
والمَتاهُ الكلامْ .

أول الريح

«جسد الليل» قالت ، وأكملتُ : «بيتٌ
للجراح وأيامها . . .» بدأنا

مثلما يبدأ الفجرُ ، تدخلُ في الظلِّ
أحلامُنا تتشابكُ
والشمس تفتح أزرارَها : «سيأتي
زَبَدٌ يتقنّع بالبحرِ ، ...» كنّا
نتقرّى مسافاتِنا / نهضنا

ورأينا إلى الريح تمسح آثارنا ، همَسْنا
نستعيد مواعيدنا ،
وافترقْنا . . .

أول الموت

يصعد الموتُ في دَرَجٍ ـ كتفاهُ
بَجعٌ وامرأة

ينزل الموتُ في دَرَجٍ ـ قدماهُ
شررٌ ، وبقايا
مُدنٍ مُطفأة ، ـ

والفضاءُ الذي كان أجنحةً ، يتمادى
تمادى . . .

أول الحصاد

ظِلٌ يشردُ في الطرقات وظلٌ ينأى
في أشجارٍ تنأى ، ــ

زرعوا حُبّاً
حصدوا موتاً

كَفَنُ الذكرى يتحوّل ، صار طريقاً ، ــ
نهضوا

حملوا عبْءَ الزمن الميْتِ ، وساروا .

أول التهجية

نقدرُ ، الآنَ ، أن نتساءلَ كيف التقينا
نقدرُ ، الآنَ ، أن نَتَهجّى طريقَ الرّجوعْ
ونقولَ : الشواطئُ مهجورةٌ ،
والقلوعْ
خَبَرٌ عن حُطامٍ .

نقدر ، الآنَ ، أن ننحني ، ونقولَ : انْتَهَيْنا .

أول السفر

أَلمَواعيدُ تأتي وتنطفئ الشمس فيها
أَلمَواعيدُ تمضي وينفتحُ الجرح فيها ـ
لم أعد أعرف الغُصنَ ،
والرّيحُ لم تتذكّرْ
قَسماتي ، ـ هذا غدي؟ سألَ

العاشقُ ناراً ،
وحَنَّ للسّفر الطّالع في وجهِها ،
وسافَر فيها . . .

أول السؤال

أفقٌ يتورّدُ ، ـ لكنَّ وجهَ المطرْ
يائسٌ .

أفقٌ يتكسّر ، ـ لكنَّ وجهَ المطرْ
عاشِقٌ .

مطرٌ عاشقٌ يائسٌ ـ خطانا
ورَقٌ يرتمي في حُفَرْ

كيف لا يغمر الماء هذي الحُفَرْ؟
مطرٌ عاشقٌ ، ـ لو سألنا :
كيف لا يغسل الماء هذا الثَّمَر ـ
أتراهُ يجيبُ الشَّجرْ؟

ربّما ، ربّما . . .
وأكونُ النزيفَ ، وأمضي
راسماً شرّياني سؤالاً على دفتر المطرْ..

أول الرواية

كان رصاصٌ يهمي
والأطفال شظايا أو راياتْ

. . . ها هيَ أجسام المحروقينَ ،
المذبوحينَ ،
القَتْلى من أجل الحرّيةْ

بُقعٌ شمسيّةْ
والكلماتُ ، الآنَ ، جميعُ الكلماتْ
صارت عَرَبيّةْ .

أول التسمية

سمّينا
كلّ مكانٍ سيفاً
وأخذنا نبني ـ

قمراً مِن حوّارٍ ،
غاباتِ رؤوسٍ ،
وكواكبَ من ليل الأشلاء

وأقمْنا مملكةَ الأشياءْ .

أول الحزن

قالت أحزانُ الشّاعرِ للأمواجِ : «رأينا
رأساً يطفو . . .»

والبحرُ يقول : «تطوّحْ ،
لا عاصمَ في سبْر الأغوارِ ،
سوى الأغوارِ . . .» وقال الرأس : «مشتْ»

أحزانُ الشّاعرِ مثلَ عروسٍ
لا عرسَ لها
لا بيتَ لها . . .

أول التاريخ

الّذين أتوا ليضيئوا ، يموتونَ
والشمس تسطعُ في قُمقمٍ أو تكيّهْ
باسمِ صحرائنا العربيّةْ /

إنّها لحظةُ الخرافَهْ
إنّها رعشةُ الوصولِ إلى آخر المسافَهْ .

أول الطريق ؟

قرأ الأيامَ كتاباً ـ فرأى

أنَّ العالمَ يُصبح قنديلاً
في ليل مَرارِته ،
ورأى
أنَّ الأفْق يجيء إليه صديقا ،
ورأى

وجهَ النّارِ ، ووجهَ الشّعر ـ طريقا .

أول الصدق

قافلةٌ لوّحت وغابَتْ
وانطفأت بعدَها البيوتُ :

لِنعْترِفُ أنّنا نموتُ .

أول الحشد

أصواتٌ
تتعانقُ في السّاحات/ جمعنا
عِلْمَ الآفاقِ، دليلَ الجَمْرْ:

اليومَ، ووجهُ الأرض هِلالٌ،
اليومَ، سنقتل هذا العَصْرْ...

أول الحياة

في نسيج الإبادهْ

من سماءٍ بلا مَطَرٍ
كان يأتي ،
في دماءٍ تتوَّجهُ كان يمشي

ويقول المدى ، ويقول الولادهْ . . .

أول الاجتياح

لا تقولوا : جُنِنْتَ .
جنونيَ أحلامكم/ أتينا
ورمَمْنا الحقولْ
جسداً يتفتَّح ، كنا نقولْ
لوْ نجيءُ ونَغْتصب الكونَ .
جئنا

مَن يراكم يراني ــ أنا الوردةَ الأوّليهْ
في رمادِ المساء انكسرتُ ، وبالفجر طيّبْتُ جَذْريَ ــ
أوراقيَ الزغبيّهْ
تتقاطَرُ في سُلَّمٍ /
صوتُ آتٍ
أم خُطىً تتناءى؟

مَن يراكم يراني ــ أنا كاشفَ الظّنونْ
وأقدّم نفسي للرّعدِ : هذا شُعاعٌ

غيّروا صورةَ الطّبيعهْ
أُمزجوا الصّخرَ بالجناحِ ، وبالغبطةِ الفَجيعهْ .

كلّ شيءٍ جديدٌ على الأرضِ/ وجهي فضاءٌ
والمدى أوّلُ العيونْ

من يراكم يراني/ صرخْنا :
لا طريقٌ سوى النّار ، جئنا
لا مجيءٌ إذا لم يكن صاعقاً ، وجئنا
لم تزَل تكبرُ السّجونْ
والمنافي ترفّ مع الهُدْبِ ، والخوف يعصفُ ، والخائفونْ
ورَقٌ ،
تكبر السّجونْ /
يهبطونَ إلى الشّعر في جُبّةٍ ، في زوايا
يَستجيرون بالحدّ ، يمشون في فُسحةٍ خزَرِيّهْ
وأنا الصّاعِقُ الحدودَ ، أنا الرّحم الأوّليّهْ .

ويقولون : هذا غموضٌ
ويقولونَ : غَيْبُ/

غيّبي كلماتي

غَيّبي خطواتي
واجمحي وخُذيني
أيّها الشّهوةُ الملكيّةُ ؛ ـ
إنْ رأيتَ على مدخل الجامعةْ
نجمةً ، خُذْ يديها
إن رأيتِ على مدخل الجامعةْ
كوكباً ، عانقيهِ . . .
وكتبنا على مدخل الجامعةْ :
ألتواريخ تنهار ، والنّار تَطْغى
خُطانا
لَهبٌ يتغَلْغَل في جُثّة الأرضِ .
نَستأصِلُ العائلَه
ونقيمُ الصّداقة / غَنّوا
للشُقوقِ التي تجرح الدّهر هذا
زمنٌ يتفتّتُ / غَنّوا
لهجوم الفجيعةْ
أفْسِحوا للمقيّد أن يُولِمَ الطّبيعةْ
لأغانيهِ . . . /
تأتينَ تيّاهةً غارِقَةْ
في محيط الدّم العربيّ ، تجيئينَ أشهى من الصّاعقَةْ
لا تقولوا : جُنِنْتَ .

جنونيَ أحلامكمْ / أتينا
وهبطنا الظّلامَ ، كسرنا قناديله ، وجئنا
مثل أرضٍ تحنَ إلى الماءِ ، جئنا
مثلَ رَعْدٍ تدثّر بالغيمِ/ وَعْدٌ :

ستكونونَ فجراً
سيكون الزّمان لأحلامنا شُرفاتٍ . . .

كلّ شيءٍ جديدٌ على الأرض ، والأبجديّه
لَهبٌ ،

والجنونْ
سَفَرٌ بينها وبيني /
أُفُقٌ
يتهجّى الحدودَ الخفيّهْ ،
واسمُنا واحِدٌ ـــ

تأسّستُ في شَجَرٍ لا يموتْ
ورأيتُ الخُطى ، ورأيت البيوتْ
وهي تنهارُ / هذا شراري

والمسافاتُ حُبلى

واسمُنا واحدٌ ـ ونجتاحُ : هذا مدانا

أنْ نَرُجَّ المداراتِ ، أن لا نكونْ

غيرَ هذا الجنونِ

الجنونِ

الجنونْ .

أول الكلام

ذلك الطّفل الذي كنتُ ، أتاني
مرّةً
وجهاً غريباً .

لم يقل شيئاً . مشينا
وكِلانا يرمقُ الآخرَ في صمتٍ . خُطانا
نَهَرٌ يجري غريباً .

جمعتْنا ، باسْمِ هذا الورقِ الضّاربِ في الرّيح ، الأصولُ
وافترقْنا
غابةً تكتبها الأرضُ وتَرْويها الفصولُ .

أيها الطّفل الذي كنتُ ، تَقَدّمْ
ما الذي يجمعنا ، الآنَ ، وماذا سنقولُ؟

كتاب الحصار

(1985-1982)

صحراء I

1

أَلمدائِنُ تنحلُّ ، والأرض قاطِرةٌ مِنْ هَباءْ ؛ ــ
وَحدهُ الشعر ، يعرفُ أن يتزوّجَ هذا الفضاءْ .

2

لا طريقَ إلى بيتِه ، حِصارْ
والشّوارع جَبّانَةٌ ؛
مِن بعيدٍ ، على بيتِه
قمرٌ ذاهِلٌ يتدلّى
في خيوط الغبارْ .
قلتُ : هذا طريقي إلى بيتِنا ، قال : كلاَّ
لن تمرَّ ، وسدَّدَ نحوي رصاصاتِهِ ، ــ
حسناً ، ليَ في كلِّ حيٍّ
رِفقةٌ ، لي بيوتٌ . . .

3

طُرُقٌ للدّماءْ ــ

ألدّماءِ التي كان طِفلٌ يُحدِّث عنها

ويُوشوش أصحابَهُ :

لم يعد في السّماءْ

غيرُ بعضِ الثقوب التي سُمِّيت أنجماً . . .

4

كان صوتُ المدينةِ ألطفَ من أنْ تشدَّ الرّياحْ

حَبْلَ أوتارِهِ ، ــ

كان وجهُ المدينةِ يَزهو

مثلَ طِفلٍ يُهيِّء للّيلِ أحلامَهُ

ويقدّمِ كرسيَّهُ للصّباحْ .

5

وجدوا أشخاصاً في أكياسٍ :

شخصٌ لا رأسَ لَهُ

شخصٌ دون يدينِ ، ودونَ لسانٍ

شخصٌ مخنوقٌ

والباقون بلا هيئاتٍ وبلا أسْماءْ

ـ أجُنِنْتَ؟ رجاءً

لا تكتبْ عن هذي الأشياءْ .

6

صفحةٌ من كتابٍ

تَتَمرْأى قنابلُ فيها

تَتمرْأى النّبوّاتُ والحِكَمُ الغابِرَه

تَتمرْأى محاريبُ ، ــ سَجّادةٌ مِن حروفٍ

تتساقَطُ خيطاً فخيطاً

فوق وجه المدينةِ ، من إبَرِ الذّاكرةْ .

7

قاتِلٌ في هَواء المدينةِ ، يَسبح في جُرْحِها ، ــ

جُرحها سَقْطَةٌ

زَلْزَلَت باسْمِها ــ بنزيفِ اسْمِها

كلُّ ما حولَنا
ألبيوتُ تغادر جُدرانَها
وأنا لا أنا .

8

ربما جاءَ وَقتٌ ستَقْبَلُ فيهِ
أن تعيشَ أَصَمَّ وأبكمَ ، لكن
ربّما سمحوا أن تُتَمْتِمَ : مَوتٌ
وحياةٌ
وبعثٌ ،
والسّلامُ عليكم . . .

9

مِن نبيذ النَّخيل إلى هدأة الصَّحارى . . . إلى آخِرِهْ
مِن صباحٍ يُهرِّبُ أحشاءَهُ
وينام على جُثَثِ الثّائرينَ . . . إلخ* ،
من شوارعَ ، من ساحَاتٍ
للجنودِ ، الحشودِ . . . إلخ ،
من ظلالِ رجالٍ نساءٍ . . . إلخ ،
من قنابلَ محشوّةٍ بدعاء الحنيفين والكافرينَ.. إلخ ،

---

* تقرأ بلفظها الكامل ، كما هي واردة في السطر الأول .

مِن حديدٍ ينزّ حديداً وينزف لحماً . . . إلخ ،
مِن حقولٍ تحنّ إلى القَمْحِ والعشب والعاملينَ . . . إلخ ،
مِن قِلاعٍ تُسوّر أجسادَنا
وتُهيل علينا الظّلامَ . . . إلخ ،
مِن خرافاتِ مَوْتى تقول الحياة ، تقود الحياةَ . . . إلخ ،
مِن كلامٍ هو الذَّبحُ ، والذَّبحُ ، والذّابحونَ . . . إلخ ،
مِن ظلامٍ ظلامٍ ظلام
أتنفّسُ ، ألمسُ جسميَ ـ أبحثُ عنّي
وعنكَ ، وعنه ، وعن غيرنا ،

وأُعلّق موتي
بين وجهي وهذا الكلام ـ النّزيفِ . . . إلخ .

10

سوف ترى ، ـ
قُلِ اسْمَهُ
أو قُل رسمتُ وجهَهُ
مُدّ يديكَ نحوه
أو ابتسِمْ ،
أو قلْ فرحتُ مرّةً
أو قُلْ حزنتُ مرّةً ،

سوف تَرى :

ليس هناكَ وطنٌ . . .

11

غَيّر القتلُ شَكْلَ المدينة ــ هذا الحجَرْ

راسُ طِفْلٍ ــ

وهذا الدُّخانُ زفيرُ البَشَرْ .

كلُّ شيءٍ يُرتِّل منفاهُ / بَحْرٌ

من دماءٍ ــ وماذا

تتوقّعُ هذي الصّباحاتُ غير شرايينها المبحرهْ

في السديم ، وفي لُجّةِ المجزرهْ؟

12

سامِروها ، أطيلوا السّمَرْ

إنّها تُجلسُ الموتَ في حضنِها

وتقلّب أيّامَها

وَرَقاً شائخاً ، ــ

احفظوا آخرَ الصّوَرْ

من تضاريسها

إنها تتقلّب في رَمْلِها

في محيطٍ من الشّرَرْ

وعلى جسمِها
بُقعٌ من أنينِ البَشَرْ .

13

بِذْرَةً بِذْرةً ، تتناثرُ في أرضِنا
فاحفظي سِرَّ هذي الدِّماءْ
يا حقولاً تُغذّي أساطيرَنا ، ـ
أتحدّث عن نكهةٍ في الفصولِ
وعن بارقٍ في الفضاءْ .

14

ساحةُ البُرجِ ـ (نقشٌ يوشوش أسرارَهُ
لقناطرَ مكسورةٍ . . .)
ساحُ البرج ـ (ذكرى تفتّش عن حالها
في غبارٍ ونارٍ . . .)
ساحةُ البرج ـ (صحراءُ مفتوحةٌ
تصطفيها الرياحُ ، وتجترّها . . .)
ساحةُ البرج ـ (سِحرٌ
أن ترى جُثثاً تتحرك / أطرافُها
في زقاقٍ ، وأشباحُها
في زقاقٍ/ وتسمع آهاتها . . .)

ساحةُ البرج ــ (غربٌ وشرقٌ
والمشانق منصوبةٌ ، ــ
شهداءٌ ، وصبايا . . .)
ساحةُ البرج ــ (حشدٌ
مِن قوافِلَ : مُرٌّ
ولبانٌ ومسْكٌ
والبهاراتُ تفْتَتِحُ المهرجانْ . . .)
ساحةُ البرج ــ (حشدٌ
من قوافِلِ : رعدٌ
وانفجارٌ ، وبَرْقٌ
والأعاصيرُ تفتَتِحُ المهرجان . . .)

ساحةُ البرج ــ (أرّختُ هذا الزمانْ
بِاسْم هذا المكان) .

15

ــ جُثَثٌ أو حُطامْ
وجْهُ بيروتَ؟

ــ هذا
جرَسٌ ، أمْ صراخٌ؟

ـ صديقٌ؟

ـ أنتَ؟ أهْلاً .

أسَافرتَ؟ عُدْتَ؟ جديدُكَ؟

ـ جارٌ لنا قتلوه . . . /

. . . .

لَعِبٌ /

ـ تَرْدُكَ اليومَ أقْوى ،

ـ مُصَادَفَةٌ /

. . . .

ظُلُماتٌ

والكلامُ يَجُرُّ الكلامْ .

صحراء II

1

. . . في زمانٍ يُصارحني : لَسْتَ مِنِّي
وأصارحُه : لستُ منكَ ، وأجهد أن أفهَمَهْ . . .

وأنا الآنَ طيفٌ
يَتشرَّدُ في مَهْمَهٍ
ويُخيِّم في جمجمهْ .

2

ألفضاءُ مدىً يَتضاءَلُ ، نافذةٌ تتناءَى ،
والنَّهارُ خيوطٌ
تتقطَّع في رئتيَّ وتَرْفو المساءَ .
صخرةٌ تحت رأسي ، —
كلّ ما قلتُه عن حياتي وعن مَوتِها
يتكرّر في صمتِها .

3

أتناقضُ؟ هذا صحيحٌ
فأنا الآنَ زرعٌ وبالأمس كنتُ حَصاداً
وأنا بين ماءٍ ونارٍ
وأنا الآن جمرٌ وورْدٌ
وأنا الآن شمسٌ وظِلٌّ
وأنا لستُ رَبّاً
أتناقضُ؟ هذا صحيحٌ . . .

4

مُغلَقٌ بابُ بيتي
والظّلامُ لِحافٌ ، ـ
قمرٌ شاحبٌ حامِلٌ في يديهْ
حفنةً من ضياءٍ ،
عجزت كلماتي
أن توجّهَ شكري إليهْ .

5

أغلقَ البابَ ، لا ليقيّدَ أفراحَهُ
. . . ليُحرّرَ أحزانَهُ .

6

كلّ شيءٍ سيأتي ، قديمَ
فاصْطحبْ غيرَ هذا الجنونِ ـ تهيَّأْ
كي تَظلَّ غريباً . . .

7

لم تعد تُشرقُ الشمسُ : تتَسـلّ في خِفْيةٍ
وتُواري
قدميها بِقشٍ . . .

8

أتوقّع أن يأتي الموتُ ، ليلاً
أن يُوَسّد أحضانَهُ
وردةً
تعبتْ من غبارٍ يُغطّي جبينَ السَّحَرْ
تعبت مِن زفير البشَرْ .

9

يهبطُ اللّيلُ [هذا
وَرَقٌ كان أعطاهُ للحِبْرِ ـ حِبْرِ الصّباح الذي لم
يَجِئْ]

يهبط الليلُ فوق السرير ـ [السرير الذي كان هيّأهُ
عاشقٌ لم يَجِئْ]

يهبط اللّيل ـ لا صوت [غيْمٌ ، دخانٌ . . .]
يهبط الليل [شخصٌ
في يديهِ : أرانبُ؟ نمْلٌ؟]
يهبط الليل [سورُ البناية يَهتزُّ ، كلّ السّتائر شفّافةٌ]
يهبط اللّيل ، يُصْغي :
[أنجمٌ مثلما يعرف اللّيل خرْساءُ
والشّجرات الأخيرة في آخر السّورِ لا تتذكّرُ
ماذا يقول الهواءُ لأغصانها]
يهبط اللّيل [بين النّوافذ والرّيح همْسٌ]
يهبط الليل [ضوءٌ تسرّبَ ، جارٌ
يَتمدّدُ في عُرْيِه]
يهبط الليلُ [شخصانِ ، ثوبٌ يعانقُ ثوباً
والنوافذ شفّافةٌ]
يهبط الليل [هذا مزاجٌ ـ

قمرُ اللّيل يشكو لسِرْواله
ما شَكاهُ المحبّون دوماً]
يهبط اللّيل [يرتاح في جَرَّة
مُلِئَتْ خمرةً ـ لا ندامى
رَجلٌ واحِدٌ يتقلّبُ في كأسِهِ]
يهبط اللّيل [يحملُ بعضَ العناكِب ، يرتاح للحشراتِ التي
لا تُسيءُ
لغير البيوتِ/ إشاراتُ ضوءٍ :
أملاكٌ أتى؟ أم قذائفُ ، أم دعواتٌ؟
وجاراتُنا
كُلّهن ذهبْنَ إلى الحجّ ـ عدن أقلّ ضُموراً ، وأكثر
غُنجاً]
يهبط اللّيل [يدخل بين ثُديّ الأيامى
وجاراتُنا أيَامَى]
يهبط اللّيل [تلك الأريكة ـ تلك الوسادةُ : هذي ممرٌّ
وهذي مَقرٌّ]
يهبط اللّيل [ماذا نُعدّ؟ نبيذاً؟ أم ثريداً ولحماً؟
يُخبئ اللّيل عنّا شهيّة أحشائِه]
يهبط اللّيل [يلهو قليلاً
مع حلازينه ،
مع يَمامٍ غريبٍ ، ونجهلُ من أين جاءَ ، ومع حَشَراتٍ

لم تردْ في فصولِ الكتابِ الذي خطّهُ اللّقاحُ عن
الحيوانِ وأجناسِهِ]

يهبط الليل [رعْدٌ
أم ضجيجُ الملائكِ جاءت بأفراسِها؟]
يهبط الليل [يَهْذي
يتقلّبُ في كأسِهِ . . .]

10

مَن يُريني كوكباً
يمنحني الحِبْرَ لكي أكتبَ ليلي؟

11

كتبَ القصيدةَ ، ـ
(كيف أقنعهُ بأنّ غدي صحارى؟)
كتبَ القصيدةَ ، ـ
(من يزحزح صخرة الكلمات عنّي؟)
كتبَ القصيدةَ ، ـ
(لستَ مِنّا ، إن أنتَ لم تقتل أخاً)
كتبَ القصيدةَ ، ـ
(كيف نفهم هذه اللّغة الطريدةْ

بين التّساؤل والقصيده؟)
كتبَ القصيدةَ ، ـ
(هل سيقدر ذلك الفجرُ المشرّدُ ،
أن يعانِقَ شمسَهُ؟)
كتبَ القصيدةَ ، ـ
(بين وجه الشمس والأُفُقِ التباسٌ)
كتبَ القصيدةَ ، ـ (فَلْيَمُتْ . . .)

12

أتكلّمُ؟ عن أيِّ شيءٍ؟
وبأيِّ اتّجاهٍ أسيرُ؟
سألتكَ يا نَوْرَساً يتموّج في زُرْقَةِ البَحْرِ . . . / كلاً
من يقولُ : سألتُ ، ومنْ قال :
أَسْتَشْرِفُ البحرَ ، أو أتحدّثُ مع نَوْرَسٍ؟
لم أكنْ ،
لم أسِرْ ،
لم أقُلْ . . .

13

سَأُناقِضُ نَفْسي

سأضيفُ إلى معجمي :

لُغتي لستُ منها ، فمي

لم يكن مرَّةً فمي —

آهِ ، يا نجمة الخرابِ ، ويا وردةَ الدَّمِ .

14

كان لي أَنْ أُمَزَّقَ ، أنْ أَتَناثَرَ في غابةٍ من لَهَبْ

كي أضيءَ الطَّريقْ ،

مُدَّ لي يَدكَ الحانيه

رُدَّ ما أخذتْهُ لياليكَ من شمسيَ الدَّاميهْ

أيّهذا الصديقْ

أيّهذا التَّعَبْ .

15

كلّ ما أنكرتْهُ العيون ستَتْرَعاهُ عيني ، —

ذاكَ عهد الصَّداقة بين الخراب وبيني .

16

مذْ أسْلمتُ نفسي لنفسي ، وساءلْتُ :

ما الفَرْقُ بيني وبين الخرابْ؟

عشتُ أقصى وأجملَ ما عاشه شاعِرٌ :

لا جوابْ .

17

بعدَ أن مَزّقَ الشعر ثوب الزّمانْ

صرتُ أدعو الرّياحَ لأهديَها ، لِتصيرَ يداها

إبَراً

كي تخيطَ بأشلائِه المكانْ .

18

ما الذي لامَسَ المتنبّئُ

غيرَ التّرابِ الذي وطئتهُ خُطاهُ؟

هكذا ـ

لم يَخُنْ ما تَراءَى له

في نَبُوءاتِهِ ، سِواهُ .

19

لا تموتُ لأنّكَ مِن خالقٍ ،
أو لأنّكَ هذا الجَسَدْ
أنتَ ميتُ لأنّكَ وَجهُ الأبَدْ .

20

لِيَكنْ ،
مِن حَقِّ أحلاميَ أن تُهمل جسمي
ولجسمي أن يخونَ الأرَقَ السّابحَ فيهِ...

21

يَنبغي أنْ أدعُوَ الذِّئبَ لكي يجلوَ مِرآةَ خِرافٍ
نسيتْ صورتَها . . .

22

لم تَعُدْ نتلاقى
لم يعد بيننا غيرُ نَبْذٍ ونَفْيٍ ،
والمواعيد ماتت ، وماتَ الفضاءْ ، ــ
وَحْدَهُ الموتُ صارَ اللّقاءْ .

23

زهرةٌ ـ

أغْوَتِ الرِّيحَ كي تنقلَ الرَّائِحةْ

ماتتِ البارحةْ .

24

تَعبي يرقدُ عصفوراً ، ـ سأبقى

مثلَ غُصْنٍ :

لن أبوحَ الآنَ ، لن أوقِظهُ . . .

25

الغطاءُ يُشَقُّ ، ويُفْتَضَحُ التَّرجمانْ

في الحريقِ الذي يلبس الآنَ وجهَ المكانْ .

26

مقهى ـ والبحرُ، اليومَ، ينامُ كطفلٍ /
هذا وجهٌ أعرفُهُ ـ أهلاً، كيف الحالُ، وهذا
صوتٌ أذكرُهُ . . .
ـ لم يأتِ الفوّالُ اليومَ . . .
ـ مريضٌ؟ أمْ هُجِّر؟
ـ مجهولونَ رَموهُ
في بِئْرٍ . . .

. . . / والبحرُ ينامُ، اليومَ، كطفلٍ . . .

27

لَسْتَ هذي المدينةَ أو تلكَ،
لستَ الإقامةَ والذكْرياتِ/ الأقاصي رهانُك ـ لكنْ
خطواتُك مذعورةٌ
وتواريخُ ذاكَ الفضاءِ الذي كنتَهُ
طيوفٌ
وبَوَارِقُ من شُعلةٍ تتلاشى . . .

28

خالقٌ يأكلُه الخَلْقُ ، بلادٌ
في الدّم الدّافقِ من أشلائها تختبئ ، ـ
إنه العَصْرُ الذي يبتدئْ .

29

كلّما قلتُ : هذي بلاديَ تدنو
وتُثمر في لغةٍ دانيهْ
قَذفتني إلى بلدٍ آخرٍ
لغةٌ ثانيهْ .

30

شَجَرٌ ينحني ليقولَ وداعاً
زَهَرٌ يتفتّح ، يزهو ، ينكّس أوراقَه ليقولَ وداعاً
طرقٌ كالفواصلِ بين التّنفس والكلمات تقول وداعاً
جسدٌ يلبس الرّمل ، يسقط في تيهِهِ ليقول وداعاً
ورقٌ يعشق الحِبْر
والأبجديّةَ والشعراء يقول وداعاً
والقصيدة قالت وداعاً .

31

كلّ ذاك اليقين الذي عشتُه ، يتلاشى
كلّ تلك المشاعِل من شهواتي وأشيائها ، تتَلاشى
كلّ ما كان بيني وبينَ الوجوه المضيئة في هجرتي ، تتلاشى

أبدأ الآنَ من أوّلٍ .

32

يتساقطون ، ــ الأرضُ خيطٌ من دخان
وأظنّ أنّ الوقت قافلةٌ
تسير وراءهُ . . .

أشخاص

1

أحمدٌ . . .
تحت أهدابِهِ نجومٌ
غير أنّ العناكب تنسج أحلامَهُ .

2

يَسْتَضيء سليمانُ ، لكن بقوّتهِ النّابذَه
حين قال : اهتديتُ ، وأسلمَ أجفانَهُ
لِلضّياء الذي شَعّ في بيتِه
كان وجه الفضاء غراباً على النافِذه .

3

لم يقل قاسِمٌ : إنّ للحلم فأساً
قال : للحُلُمِ حَقْلٌ . . .

4

وردةٌ أجْهشَتْ بالبكاءْ

حين غطّى عليٌّ بأوراقِها وجهَهُ ، ـ

كان يبكي الطّيورَ التي هاجَرَتْ

ويُعزّي الفضاءْ .

5

فجأةً ـ في تَقاطُعِ دربين ، وَجْهٌ ـ

هُوَ؟ لكنّه ماتَ ، أو قيل ماتَ . ضجيجٌ

عرَباتٌ

وباعةُ خَسٍّ وتَبْغٍ ،

أأناديهِ؟ ناديتُ ـ وجهٌ

لم أميّز ملامِحَه ، رَدَّ . . . أهْلاً ،

ما اسْمُهُ؟

ضجّةٌ ورصاصٌ ـ فجأةً ، وهديرٌ :

صوتُ نَقّالةٍ . . .

6

كُلَّ نَهارٍ . . .
يَسْتَيْقظُ قبلَ الشَّمس ، لينظرَ من شُرْفَتِه
كيف يُحيِّي الزَّهْرُ
خطواتِ الفَجْر .

7

ـ ما الذي يُدخل الفضاءَ لغرفته الدّاميه؟
ـ نارُ أشلائِه العاليةْ .

8

إِعتذرْ
لِلدُّروب التي ضَلَّلْتَها
خطواتُكَ ، واخْضَعْ
لِلظّلام النَّبِيِّ
أكثرُ من مارقٍ أنتَ في هَوْلِ معراجكَ العربيِّ .

9

لا المداراتُ ، لا اللّغة النّافره

مِن جراحِ المدينةِ أَغْوتكَ ، ــ أسلمتَ لِلّحظة العابِره

خطواتِكَ ، ــ

لا شيءَ غيرُ الطّرائِدِ في غابةِ الذاكرهْ .

10

جِسمكَ الآنَ قِنديلُ ظنٍّ

والمكان يموجُ من الرُّعبِ ، عيناكَ لا تُغمضانْ

خوفَ أن يهربَ المكانْ .

11

لا أُريدكَ أنْ تتحدّثَ أو أن تلوّح : أبهَى

أنْ تظَلَّ غياباً

كي تظلّ سؤالاً .

12

كان هذا مَمَراً إلى بيتها ،ـ كثيراً
خبأتنا شجيراته ، ورسمنا
في تقاطيعه خُطانا ،ـ
وهنا كان مروان يجمع أصحابَهُ . . .
مات ميثاقهم وماتوا
وامّحت هذه العتَبات .

13

أخذوهُ إلى حفرةٍ ، حرقوهُ
لم يكن قاتلاً ، كان طِفْلاً
لم يكن . . . كان صوتاً
يتموّجُ ، يعلو مع النّار ، يرْقى على دَرَجات الفضاءْ
وهُوَ ، الآنَ ، شَبَّابةٌ في الهواءْ .

14

ليس منديلُها لِيُلَثِّمَ وجهاً
أو يردَّ الغبارَ ، وليس لكي يمسحَ الدّمعَ ، منديلُها
طَبَقُ الخبزِ والجبنِ والبيضِ ، وهو لِحافٌ
لِرشّاشِها ،ـ
كان منديلُها رايةً . . .

15

تَرَكَ القافله

ومزاميرَها وهواها ، ـ

مُفْرَدَ ، ذابلٌ

جذبتهُ إلى عِطرِها

وردةٌ ذابله .

16

ستَظَلُّ صديقي

بين ما كان ، أو ما تَبقّى

بين هذا الحطامْ ،

أيهذا البريقُ الذي يلبس الغيمَ ، يا سيّداً لا ينامْ .

17

لا يَلمَحُ غيماً ، لا يلمح ناراً ـ

مِن أين إذنْ ، سَيجيء الماءْ؟

أيجرّ خطاه مع الكلمات ، ويتبع قافلةَ الأشياءْ؟

18

أخذت ما تيسّر من خبزها / كان طفلٌ
يتلهّى بعكّازها
ويدبّ على قدميْها ،ـ
حملته كجوهرةٍ ، غَمَرَتْهُ
ورمت فوقَهُ وجْهَهَا
ومَضَتْ تتوكأُ / عُكّازُها
إرثُها من أبٍ
مات قَتْلاً . . .

19

أَلنّهار رغيفٌ
والمساءُ إدامٌ لهُ ،
أَلمساءُ رغيفٌ
والنهارُ إدامٌ لهُ
ورقٌ يتقلّب في ريحِه /
سيكونُ الشتاء طويلاً
سيموت الربيعُ بلا أُغنياتٍ ،ـ

إنّ هذا رثاءٌ لليلى التي لم تمُتْ . . .

20

أحداً كنتَ أو لا أحَدْ
وَمْضَةً أو رماداً
بين أشلاء هذا الزمانِ ، ـ سَواءٌ قُذِفْتَ إلى ظُلمَةِ القاع ،
أو غَمرَتْك جبال الزَبَدْ ،
نكهةُ الفَجْرِ أنتَ ، وضوء المسافاتِ أنتَ ، وهذا المدى
لشموسك ، هذا الصَدى
لأغانيك ، ـ صوْتيَ في غصّة ، ورياحيَ مخنوقةٌ ،
وأغنّيك وجهكَ وجهك ، لكنّ موتك موْتي
غير أنّيَ في ترَفِ جرْحكَ ، في نار أوجاعهِ أتفجّرُ ،
أجلو لنفسيَ نفْسي
ويُصالح بيني وبين حياتي معراجك الدَمويُّ
وأهاجرُ مثلك بين الفجيعة والفتْكِ ، والرَعبُ
يُوغل في خطواتِك في خطواتيّ ،
والموتُ صيّادنا العربيْ .

مُتْ لكنّك الآن أنشودتي ورفيقي
وأنا لست منك ، ولكنّني أنتمي لهديركَ ، للعاصِفِ
المتموّج في ساعديْك

وطريقُك ليستْ كما أتنوّرُ ، لكنّها طريقي
وأنا الآن أقربُ مِنّي إليكْ .
وأنا حين أرنو لموتِك ، أسأل : هل قدمايَ على الأرض؟
هل جسدي راسخٌ؟
أم تُرى عالِقٌ في فضاءٍ من الرُّعبِ ، مستسلماً
أتدلّى؟
وأنا حين أرنو لموتِكَ أسأل : هل أنت أقربُ منّي إليّ؟
وأسائِلُ : هل وطني هذه الأرضُ ، أم وطني موتُك
الأبجديّ؟

لِنقلْ : بيننا عَهْدُ نسْغ
وطريقٌ ـ من الجذْرِ حتّى الثَّمَرْ
لِنقُل : كلُّ ما كان بين العجينَةِ والخالقِ انكسَرْ
ولنقلْ : نبدأُ الآنَ من هجرة الرّيحِ في غابةِ الشَّرَرْ
ولْنَسِرْ ، لا لهذا المكان ، ولا ذلك المكانْ
لِنَسِرْ ، حيثُ لا شيء إلاّ الطريقُ وإلاّ الرّهانْ
أنّنا طاقَةُ الجَذْبِ والنّبْذِ انّ رؤانا
وخُطانا مدارٌ
لأساطير هذا الزمانْ .

رسائل

1

يهبطُ اللّيل من شُرُفاتِ الفضاءِ ،
ويجلسُ في حَيِّنا
هَرِماً ، شاحِباً ، ـ
مَعهُ تجلسُ البيوتُ وأحلامُها
تترامى على صدرِه ،
وتُغازِل عُكّازَهُ . . .

2

تنهضينَ مَنَ النّومِ ، ـ زندٌ حنينٌ ،
وزندٌ عِناقٌ ،
يَتبادَلُ أحلامَنا جَسدانا ـ

نشربُ الشّايَ ،

نسمع بين الفناجين هَمْساً .

حولَنا زَهراتٌ

بعضها ذابلٌ يتذكّر أوراقَه

بعضُها يتعرّى ، ـ

رِغْبتي أنْ أحادِثَكَ الآنَ ، تَجتاحُني .

3

ليس قلبي شراعاً ولا غيمةً ،

ليكونَ خفيفاً ويَطْفوَ / قلبي مَدارٌ

فلماذا ، إذن ، يَتطايرُ فيها؟

كلّ شيءٍ يُردّد عن حبّنا :

ألسّريرُ

السّتارُ

النوافِذُ

صوتُ الطيور ـ الصّدى

ونسيمٌ يُوصْوِصُ من كوّةٍ في الخَفاءْ ،

كلّ شيءٍ يُردّد عن حبّنا :

نادرٌ أن يكون لِزَوْجينِ هذا الفضاءْ .

4

أَلشّتاءُ يُودّع أشجارَهُ

دونَ أن يتذكّر أنّا وضعنا

عنده ، نارنا

وامتزجْنا بأمطارِهِ/ الصّيفُ يَجهل أحزانَنا

والرّبيع أسيرٌ لأزهارِهِ

ولأقلامها ــ

(كَتبت أمسِ مرثيّةً

رَدّدتها رياح الخريفِ) / الخريفُ يعلّمنا كيف نَحيا .

5

ــ «ما الذي تَستَشْرِفُ الآنَ؟ وما المعنى الذي تبحث عنهُ؟

واثِقٌ أنكَ تلقاهُ وتَلْقى

مَن يؤاخيكَ ومن يُصغي إليكْ؟

سنغنّي

ليكونَ الزّمنُ الطّالعُ باباً

وتكونَ الرّيحُ مفتاحاً ــ وضعنا

لهبَ الأسرارِ فيهِ ،

ورَماهُ حبّنا بين يديْكْ» .

هذا ما كتبه
محمد بن عيسى الصيداني
قبيل موته

1

سبقوني الى زَمَنٍ آخرٍ
دخلوا في عيونٍ من الحلْمِ في جسَدٍ من ضياءٍ . . .
إنّ جسمي يُقاتِل جسمي ،
وحنيني
جارِفٌ كي أسافِرَ ، كي أتحدّثَ مع رُفَقائي .

2

كلُّ هذي النّجوم التي تتكوكَبُ تيّاهةً
كَتِفٌ واحدَه ،
تَعِبَ اللّيلُ من عيْنِها
وأنا مِثْلَهُ
أتقلّبُ في نارها الخامِدَهْ .

3

ـ «الدّروبُ بِلا منفذٍ
والبيوتُ وأيّامها رمادٌ ،
عَبثٌ موتُكَ الآن ، لا شيءَ غيرُ الضَّيَاعْ» .

لا تَسدُّوا فضائي
بتعاويذكم ،
واتركوني لهذا الشُّعاع الذي سأسمّيه أرْضي :
إنّها الشّمسُ بيتي ـ بيتٌ لَنا ،
وأنا لست إلاّ انعكاسَ الشّعاعْ .

4

خائفٌ . . .
هل نسيتُ الطّريقَ التي أخذتني
مرّةً ، والتقيْنا؟

كان ما يُشبه الظّلامْ
كان موجٌ رمينا
في غواياتِه جَسَديْنا
وَهَوى جامحاً ، وهَوَيْنا .

خائِفٌ . . . وكأنّي نسيتُ أساريرَها
ونسيتُ أحاديثَنا
ونسيتُ الكلامْ .

5

سَكَنَتْ وجهها
سَكَنَتْ في نخيلٍ من الصَّمتِ بين رؤاها وأجفانها . . .
بيتُها شارِدٌ
في قطيع الرِّياحِ ، وأيّامُها
سَعَفٌ يابِسٌ ،
ورمالٌ .
مَنْ يَقولُ لِزَيْنَبَ : عيناي ماءٌ
ووجهي بيتٌ ، لأحزانِها؟

6

قَطْرَةٌ من دَمٍ
إنّها قَطرةُ الدَّمعِ في جَوْفِ هذا المساءْ
حملتني إلى صدرِها ، ـ
صدرُها كلُّ هذا الفَضاءْ .

7

ألمحُ الآنَ أحزانَها
كالفراشاتِ، تضربُ قِنديلَها
حُرّةً، ذاهِلَهْ
وأراها تُمزّق مِنديلَها . . .

ألمحُ الآنَ أمّي :
وَجْهُها حُفْرةٌ، ويدَاها
وردةٌ ذابِلَهْ .

8

بين وقتٍ ووقتٍ، أحِسُّ كأنّيَ غيْري
وأحِسُّ كأنّي دمٌ يَتدَفّقُ ـ أتبَعُ خيطَ التّدفّقِ،
أسألُ : ما اسْمي؟
ولكي أتخيّلَ ما سيَكونُ، أُخيّلُ أنّي أضُمُّ بِلادي ـ
الحقولَ، الجبالَ، البيوتْ
وأقولُ : لكي أتيقّنَ أنّيَ نَفْسيَ،
لابُدَّ مِن أنْ أموتْ .

9

زَهَرُ الأُقحُوانْ

لا يَزالُ يُغنّي لموتي ،

ويُؤثِرُ موتيَ ليلاً

ليكونَ البياضَ الذي يَتلألأُ في غُرّةِ المكانْ .

10

شُهُبٌ تَتساقَطُ من شُرُفاتِ الفضاءْ

وأراها تطوفُ ، ــ

إذن ، أتقدّمُ ، أسألُ عن حالِها

وأُحيّي خيالاتِها

وأقدّمُ جسمي لها

والغبارَ الذي ضمّه والرّداءْ .

11

أعْطِني ما ترسَّب في جَرّة الأزمنةْ
أعْطِني ما تَرَسَّبَ في الرّوح مِن تَعَبِ الأمكِنَةْ
أعْطِني كلّ هذي الثُّمالَهْ ،
جَسَدي طافحٌ بِسِواهْ .
جسدي كلّ بيتٍ
والشّوارع فيّ شرايينُ ، والبحرُ نَبْضٌ :
هذه صورتي
وأنا هذه الرّسالَهْ .

12

جَسدٌ فاضَ عن قبرِهِ :
عَمّرَ الأفْقَ داراً ، وبالشّمس حَصّنَ أسْوارَهَا .
ويقول أحِبّاؤهُ :
مُوغِلٌ في مداراتِه
يَتَهجّى الحقولَ ويكتبُ أزهارَها .

13

ـ هَلْ تآخيتَ مع صوتِه
وتنوّرتَ أغوارَهُ النّائيهْ؟
ـ أمْسِ ، كنّا معاً ، وافترقْنا :
نجمةٌ مِن فضاءاتِهِ
أخذتهُ إلى دارِها العاليَهْ .

14

«كان طفلاً من البحر ، طفلاً صديقاً لأمواجِه
جسمهُ لُجّةٌ
وخُطاهُ الشّواطئ مفتوحةٌ»

. . . إنّها آخر الأغنياتْ
هل سمعتم صداها
يتردّدُ بين الحقولِ ، ويَشْردُ في غابة الذّكرياتْ؟

15

لم تمت أمّهُ :
شعرُها أبيَضٌ ، لكنّ هذا اللّهيبَ الذي
يتناسلُ في بيْتها
يتناسَلُ في شَعْرها ، ـ
أدْخلتْنيَ من أوّلٍ
عبْرَ هذا اللّهيبِ وعبْرَ الرّمادْ
في بهاء السّوادْ .

16

أيّ عِطْرٍ غريبٍ؟ سألتُ النّوافِذَ ،
لا ياسَمينٌ ولا وَرْدَ في بيتِها ، ـ
إنّه عِطْرُها
طالعٌ من خُطاها على الرّابيَهْ
حين كانت تودّع أصْغَرَ أبنائِها
وتشير إلى شمسِه الآتيهْ .

17

كان في قبرِه
لابساً وجهَ طفلٍ ،
طفلُه كان يرسُم في غُرفةِ الخيالْ
صوراً للرّجالْ .

18

لا تقولُ الأزقّةُ في حيِّنا
كيف جاؤوا ، ومن أين؟ رَمْلُ الزُّقاقْ
والزوايا وأسرارُها
والتمرّدُ ، والخبزُ ـ تاريخُهم .
لا تقول الأزقّة غيرَ الفضاء الذي شاءهُ العِناقْ
بين أحلامهم وخُطاهُمْ ، ـ
لا تقولُ الأزقّةُ إلاّ الكلامَ الذي قاله الرّفاقْ .

19

كانَ مَيْتاً ، يداهُ

مثلُ ظِلٍّ على وَجْنتَيْهِ

وعلى وجهِهِ وَداعٌ .

مَن يقول له الآنَ : إنّي أراهُ

مَلِكاً من ملوكِ الحياةِ ، وإنّي

أتقفّى خُطاهُ؟

20

سائرونَ إليه ، ــ

وَطَناً يَتوهّجُ بين الجراحِ

(الجراحُ مصابيحُنا)

سائرونَ إليهِ

عاشقينَ ، سُكارَى إليهِ

نَتَقَرّى ، نُقلِّبُ أحشاءنا...

مَن يقولُ الرّياحُ رَمَتْنا

خلفَ أسوارِهِ؟

ألرّياحُ خُطانا إليهِ

والرّياحُ مفاتيحُنا .

21

لا تقولوا : قُتِلتُ . ولا تَندبُوني
إنَّ موتي قميصٌ آخرُ أرتديه ،
وأنا والفضاءُ
جسَدٌ واحِدٌ
مِن هواءٍ ونارٍ وماءْ .

22

لِيَ في كلِّ بيتٍ
واحَةٌ وسريرٌ .
أين جسمي ، إذن؟
ـ «أخذتْه الحقولُ»
لم أقُلْ / الزّهورُ ،
العصافيرُ كانت تقولْ .

23

هذه قريتي/ قُوانا

مُعجمٌ لِلصُّوَرْ :

صورةُ الزَّلْزَلَهْ

صورةٌ لانحناء النجومِ على عتَباتِ البيوتْ ،

وهي تزهو بأفلاكها ؛

صورةٌ مُثقَلَهْ

بشقاءٍ تموتُ ، بأنشودةٍ لا تموتْ

صورةٌ لِلْقمر

يَتعشَّقُ شمسَ النَّخيلْ

خالِعاً ثوبَهُ

لِيكفِّنَ فيه الشهيدَ الجميلْ .

24

نَهَرُ الجُرْحِ فَيضٌ :
كلّ صَفْصافِه
أذرعٌ من ضِياءٍ .
والسّماءُ التي تتمرْأى
في تجاعيدِهِ ، غُصونٌ ـــ
قَصَبٌ ناحِلٌ يتموّج في ضِفّتَيْهْ
وأنا نايُها
أتجدّد في مائِهِ
وأسافِرُ مِنْهُ إليهْ .

25

أشعرُ الآنَ أنّي وُلِدتُ التقاءً
بين هذا التّرابِ وشيءٍ
قيلَ عنهُ : الشّرَرْ
أو عمودُ السّماءِ ، الذي يَتراءَى
في حجابٍ من الرّعْدِ ، أو يتقمّصُ خيطَ المَطَرْ .
أشعرُ الآنَ : وَجْهيَ خَدّانِ ـــ ضِدّانِ ،
خَدّانِ ـــ صِنْوانِ ،
خَدّ الفضاءِ وخَدّ الحَجَرْ .

26

كانَ لي أن أشاهد صدرَ السّماءْ
حين فَكَّ الجميلُ المحجّبُ أزرارَها
ورَمى ثوبَها غطاءً
لِسريرِ اللّقاءْ .

(5 آذار، 1985)

أغنيات

أغنية إلى لحظة ماضية

مرّةً ،
سألَ الله أعرابهُ أن يجيئوا إليهِ
فرآهم
بَشراً من حديدٍ ورَمْلٍ
يَحملون على جُمْجُمَةْ
أرْضَهُ المُسْلِمَةْ .

أغنية إلى هذا الزمان

أحمدٌ، مريمٌ، كريمٌ
قرأوا ما يقول المكانُ وما يكتب المستحيلْ
وأتوا للنّخيلِ يهزّون جذع النّخيلْ:
رُطَبٌ يابِسٌ،
والمكانْ
في الجنوب شمالٌ، في الشمال جنوبٌ
والمكانُ كما خيّلوا ـــ
خيّلوا أنّه السّاقُ والجذْعُ، واسْتَشْرفوا رياحاً
من جديدٍ تُلقّح هذا الزّمانْ.

أغنية إلى الزمن ـ الضدّ

لو تجرأتُ ، قلتُ : النجوم ، السماء وتاريخُها ،
الناسُ ، واللغةُ القائمةْ
جُثَثٌ عائمةْ
لو تجرأتُ ، ساءلتُ : منْ يُحرقُ الآن؟
ماذا يُسِرّ ، بماذا يُجاهِرُ؟ هل
قال؟ هل كان؟ هلاّ؟
لو تجرأتُ ، غنيتُ للمدن الآفله
لِلرّماد المُدمّى ، وللآلة الآكِلهْ ،
ولأعلنْتُ : هذي
آيةُ الوقْتِ ، أرضٌ
تتناسَلُ في جُثّةٍ ، وربٌّ
علّقتهُ الجريمةْ
فوق أقواسِها ، تميمةْ .

أغنية إلى الوقت

إنه الوقتُ ، وقت الحصار ، الذي لا يَرى
غيرَ هذا الدّم المتنقّل بين الشوارع ،
ملْءَ البيوت الذي لا يرى
غيرَ هذا التفجُّر في جسدٍ لا يُرَى ،
وأقول لوجه الجنوب : توجّهْتُ
أنّى توجّهْتَ أتبَعُكَ ، تمضي
وأمضي إلى مثلَما
وتقود خُطايَ إلى كيفَما
وتوجّه ناري إلى ما يُزلزل ، يومئ لي . . . ربّما .

أغنية إلى المعنى

ليس هذا زمانَ البدَاءِ ولا آخرَ الأزمنهْ
إنّه نَهَرُ الجرحِ يدفقُ من صدر آدمَ، ـ
معناهُ يُوغِلُ في الأرضِ،
والشمس صورتُه المُعْلَنهْ .

أغنية إلى زينب

حضَنَتْ زينبٌ طفلَها
تتنوّرُ سِرّ اللقاء وعرّسَ اللقاءْ
بين تاريخها والبُكاءْ .

أغنية إلى بضعة حروف

كان للميم أن يصنع القافَ جسراً
ويعمّر للواو بيتاً
من ضياءٍ وحبٌ
كانت التّاءُ تربو وتعْلو ، ...
إنّها اللغة الهاديه
والقُرى تتفتحُ ، والقلبُ يقرب من داره النّائيهْ .

أغنية إلى فاطمة

فاطِمَهْ
تُنزِل القمرَ السّاهِرَ المتمرّد من بُرْجِهِ
وتقود خطاه إلى بيتها
وتمدُّ له كي ينامَ رفيقاً لطفلتها النّائمهْ .

أغنية إلى المائدة

للصداقة بيني وبين الجنوب ، وأحزانِهِ المائده
كتبٌ ، وثيابٌ
نسجتها البيوتُ ، الرياحُ ، العناصرُ /
لا تهدمِ القاعِدهْ

ابتهجْ واقتحِمْ
وادْعُ مصباحَ هذي الدروب لكي
يَرْتَسِ المائِدهْ .

أغنية إلى الاعتراف

ابْتَهِجْ واعترفْ
للجنوب ، لشمسِ الجنوبِ ، لنيرانِ
أحشائه المُضْمَرةْ
والكلامُ الذي لا يُقال اعترافٌ
وأقول الوصولُ قريبٌ قريبٌ
وأرى قامةَ الموتِ محنيَّةً
وأقول التواريخ تزهو وتقطف أعشابَها المُسْكِرةْ .

أغنية إلى المسافات

نشوةٌ / موجةٌ بادئةْ
في شواطئ من لهفةٍ ،
مرحباً ، يا ضياءَ المسافات ، لن أقطعَ الخيط
بيني وبينك ، أحزانُك الدّافئةْ
تتسرّبُ في خطواتي
مرحباً ، أيّها الخطوات التي تتخاصرُ في كلماتي .

أغنية إلى اللغات

كلُّ تلك اللغات ـــ الشظايا ، خمائرُ
للمدن المقبله
غيّروا بنيةَ الاسم والفعل والحرف ، قولوا
لم يعد بيننا حجابٌ
لم تعد بيننا سدودٌ ،
واشرحوا صدركم
بالفواتح من سُوَرِ الرّغبات ،
وجنّاتِها المقفلهْ .

أغنية إلى أحمد ومريم وكريم

أحمدٌ ، مريمٌ ، كريمٌ
قمرُ السيّد الجنوبِ يزورُ بيوتاتِهم
ويُقبّل أحجارَها ،
قمرُ السيّد الجنوب يعلّق فوق العرائِش قفطانهُ
قمرُ السيّد الجنوب يكرّر ميثاقه
للحقول وأزهارها ،
ويصلّي صلاةَ الشروقِ على وردة الغروبْ
قمرُ السيّد الجنوبْ .

أغنية إلى عاشق

النّجومُ كمثل الثقوبْ
في فراش أحبّائِه ـــ خُطاهْ
شجراتٌ تمدَّ إلى البحر خداً
وإلى جبلٍ يتوضّأ بالبحر خدًا ،
وتمدّ على الهاويه
جسرَ آفاقِها ،
وأنا الرّوايهْ
أتحدّث عن عاشقٍ في الجنوب ،
وعن عاشق الجنوبْ .

أغنية إلى ميّت

دَمُهُ يقطرُ الآنَ من وردة الفضاءْ

من حروفِ النّحاسِ ومن كلماتِ الحديدِ ،

وموعظةِ الكيمياءْ :

ليس موتاً كموتي كموتِكَ ، هذا

مَوتُ أوهامِنا ، ـ

دمهُ الآن سجّادة للسّماءْ .

أغنية إلى هو

لم أقلْ يا أخي أنتَ ميتٌ
قلتُ تَمضي ، وتعرف ماذا سيأتي
وانتهت خطواتك ، لكنَّ ظِلَّكَ مازالَ
يمتدُّ طِفْلَ اليدين ، تُرى أنتَ حيٌّ ،
وعيناكَ عينايَ ، والموتُ ما بيننا مرايا ،
وأرى ما رأيتَ ، أترجم نفسي لنفسي :
أتُرانا دمٌ واحدٌ؟
نتقاسمُ خبزَ الفجيعةِ والحبَّ ، خبزَ الحياةِ
غَريبيْنِ ، مُسْتَضعفينْ
وأنادي : أنا كربلاءُ الحنينِ ،
وتصرخُ : يا سيِّدي الحسينْ .

أغنية إلى الجرم

أحمدُ ، مريمُ ، كريمُ
نزلَ الموت في حيِّهم
يتسقَّط أحلامهم
يتصيَّد آخرَ ما يتوالَدُ في ماء أحلامهم ،
غيرَ أنّي أنا الرّوايةُ
سأقول لكم ما رأيت على الضفّة الثانيه :
كلَّ يوم يُغنّون للشمس كي تترجّلَ عن سرْجها
وتفيءَ إلى ظِلّهم ، ـ
عشقت قوسَ أهدابهم
عشقت كحلهم
عشقت لونَ حِنّائهم ،
وأراها
جمعت كلَّ أعنابها ، ورَمَتْها
قطرةً قطرةً في خوابيهمِ ،
وأقول ـ أنا الرّوايةُ :
هكذا ينسج الزّمان خطاه بأشلائهم

ويمهّد أشلاءهم
طرُقاً لخطاهم :
إنّه اللّعِبُ ـ الطّفل ، نردُ الرّياحْ
ولهم ما يلقّح جذع المساء بنسغ الصّباحْ
ولهم كلُّ هذي الحقولِ ، لهم كلّ هذا اللّقاحْ .

أغنية إلى فلّاح

خوذةٌ؟
باطِلٌ زعمكم
هذه آخر البرتقال الذي كان يسكن في حقلِه .

أغنية إلى ما تشاء

كلّ شيء يليقُ/ ابتكرْ ما تشاءُ ـ
المضارعُ ماضٍ ،
والذي لم يكن كانَ ،
والغيبُ حِسٌّ ،
واضطربْ مثلَ لُجٍّ
إنه الحبُّ يكشف عن شمسكَ الغائره
في تجاعيدكَ النافره .

أغنية إلى الخيال

كان للعين أن تتصيّدَ من غابة الخيالْ
كلّ ما خطّطوه وما اجترحوهُ
ضدّ تلك الوحوشِ التي سُمّيت واقعاً ،
لم أكن شاهداً ، كنت أصغي
من بعيدٍ بعيدٍ ،
للصخور التي تتحدث عن أوّل الرّجالِ ،
وعن آخرِ الرّجالْ .

أغنية إلى الكتابة

بعد هذا وهذا وهذا
لا الشوارع ماتت ، ولا الموتُ تذْوي
رياحينهُ
والغرائبُ ليست نقيضاً لما قُلتُ/
قلتُ الكآبةْ
دفترٌ آخرٌ للكتابةْ .

أغنية إلى الس[illegible]

أتركُوه لأسرارِه :
مرةً يُجلس البحرَ في حضنِه
مرّة ، تحت شبّاكه ،
اتركوهُ لأسرارِه :
يتقنّع بالعشب ، أو يتلبّس وجه الحَجَرْ
اتركوهُ لأسرارِه حَقلَ حبّ
يتحوّلُ في كلِّ فصْل
ويقلّب في راحتيه الشّجَرْ .

أغنية ثانية إلى هو

طوّقوهُ بأهدابهم وأفاؤوا عليهْ
هُو فيهم كروح ترفرف ، والحبُّ
كالعرشِ ، والشمس مجمرةٌ في يديهْ
وحواليه ، تعلو أساطيرُهم ، ـــ
كيف ، أنّى ومن أين أدخل في ذلك الزّحامْ
وأنا لستُ إلاّ المحدِّث والراويه
لستُ إلا الصّدى
يترصَّد في بابه النبويّ ـــ الصّدى ،
واحتضارَ الكلامْ .

الاسم

كان هذا الذي يتغطى
بالرماد (يغني
للرماد وأسرارِه
يتموج ، يعلو . . .)
والذي تَتمرأى
في جراحاته ، ويُمرّئي
في عذاباتنا وجهَهُ ،
والذي عاش في نَسَمٍ من حنينٍ ،
والذي قيل في مَدْحِهِ ـ التبغُ والبرتقالُ ، الجراحُ
وأشجارُها ،
الرفضُ والجامحونَ ، الذي لبستهُ النجومُ
لتدفأ ، والريحُ كي لا تكون عقيماً ،
والذي حضنتْهُ بساتينُه
وقراهُ ، وفلاحُهُ ، والطفولةُ ، والعاشقاتُ
وعشاقهنَّ ،
الذي جاء من عَتَماتِ الدروب ، وجاءت إليه

الدروبُ ،

الذي يُقرئ البحرَ ما كتبتهُ الحقولُ .

الذي قيلَ : إيقاعُهُ

نبضُ شطآنِه ،

قيل : أحراشُهُ مِنْجَمٌ لأساطيرِهِ ،

والذي قيل : مِحراثُهُ

كي يفتِّقَ صدرَ الترابِ ، ويوكِلِ للشمس

إكسيرَهُ ،

والذي كان يكمنُ للموتِ في وردةٍ ،

حين لا يتيسَّر أن يُجلس الموتَ في حضنِهِ ،

والذي لم يقل مرةً : يائسٌ

والذي عاش في البرد والحرِّ دهراً

ليقلِّمَ زيتونة

أو ليجْنيَ تفاحةً

كان هذا الذي جاء من عَتَمات الدروب ، وجاءتْ إليه الدروبْ

كان هذا الجنوبْ

سيداً ، جامحاً مثل موج

صامتاً مثلَ صخرٍ ،

لم يَفُهْ مرةً باسمِه ،

ألشمال اسمُهُ

بعلبكُ وبيروتُ والأرزُ والفقراءُ اسمُهُ ،

كادَ أن يَمَّحي
خاشعاً في رداء التواضُعِ ، كي لا يُقالَ : الجَنوبْ

لم يَسِرْ في بيانٍ ولم يتوكأ على توريَةْ
كلُّ ما قالهُ هذه الأغنيهْ :

«شجرُ البرتقالْ
مُثقَلٌ بالقنابلِ والرّاصدينَ ،
فكيف سيهربُ هذا الدخيلُ ومن أينَ؟
لا منفذٌ في السهول ،
ولا عاصمٌ في الجبالْ» .

كان هذا الذي ينحني خاشعاً
للذين يموتون كي يفتحوا الدروبْ ،

كان هذا الذي كاد أن يمّحي
في رداء التواضع كي لا يقالَ : الجنوبْ ،

كان هذا الجنوبْ .

(16 شباط ، 1985)

مقالات

حالة غطاء

حينما تفتحُ الشمسُ مُخدعَها للمساءْ
تتَراءى النَّوارِسُ منسوجةً غِطاءً
فوق وجه السَّماءْ .

حالة شيخوخة

كلّما قلتُ : شيّختُ ، واستنفدتني الجراحُ ،
رَجّني عاصِفٌ ، وكساني
بتقاطيعِه الصَّباحُ .

حالة غيمة

غيمةٌ من كلامٍ
تتبخّرُ من جثثِ الأنبياءْ
وتغطّي الفضاءْ .

حالة لحظة

وُلدت لحظةٌ
من زواج المدينة والرُّقص ، زوّجتها
لفضائي ، وأعطيتها خاتمي ، ــ
كلّما ضاقتِ الأرضُ ، أيقظتُها
وهي الآن في زَهْوِ إيقاعِها
وهيَ الآنَ تحيا معي .

حالة نبع

مَنْفِيٌّ هذا النّبعُ ، ومَنْفَى
لِلظّامِئ هذا الماءُ ، وهذا المَجْرى —
في الكَلمات وفي الأشياءْ
أَيَخُونُ النّبعُ ، أَيَمْحُو
ما يكتُبُهُ قيثارُ الماءْ؟

حالة وردة

أخَذَ الموتُ يَقْرُبُ ، يهبط في الماء ، يلتَهِمُ الآتِيَهْ
لم تَجِدْ وَرْدَةُ الآنِيَهْ
غيرَ أن تَنْحني :
تَتَلاشى ، وتُسْلِمَ للموتِ أوراقَها الحانِيَهْ .

حالة كرسي

أطرافٌ أربعةٌ
لكن لا أعرف أيّهما
رجلاك ، وأيّهما
زنداكَ ، ويبقى
أن أشهدَ : أنتَ الأكثر صبراً
من أطراف الإنسان ، وأنت الأبقى .

حالة الصحراء / النرجس

للماء نايٌ كنت أسمعه وأسمع شهوتي
لغةٌ تأخَرَ وحيُها
وتجيءُ بين هنيهةٍ وهنيهةٍ
غيّرتُ قافلتي ، ـــ الخليقة طينةٌ/ نَرْدٌ ، سألهو ،
بسريرتي ويَنَرْدِها .
وأنا الذي ولدته صحراءٌ/ أيائلٌ حلمِهِ
مكسوةٌ بنخيلها
وسُدىً لعبتُ النَرْدَ مع قَمَرٍ ، وطفتُ على بساطٍ
من سندسٍ ،
وسُدىً أملتُ بما يقول غرابُ ظَنّي ،
أو بما يَعِدُ الخرابْ
يا شعرُ ، يا حوذيّنا المجنون خُذْني/
خُذْنا لنسبقَ موتَنا
لِنَرى ، لنكتُبَ ما سيأتي
ونكونَ فاتحةَ الكتابْ .
صحراءُ ـــ أمٌّ

وأنا الشهادة ، ضائعاً
يهذي كمن يمشي على
أشلائِه
يمشي ويرتجل الفضاءْ .
وأنا الشهادة ، أرضنا
طمست
لكثرة ما تراكم فوقَها
من أنبياءْ .

صحراء ــ سرٌ :
هذا هو السرّ المبينُ ،
سحابةً
تلقي عباءَتها عليَّ ، حفيفُها
لغة لنجوم الآفله ، ــ
تِيهٌ ، وقافلةٌ تضيِّع قافله .

صحراء ــ تلمسني حَصاةٌ : أنتَ أنتَ ،
والمس الرَّملَ الصَّديقَ : أأنتَ أنتَ؟
شرارُكَ التهمَ الشَّرارا ،
صحراء ــ تحمل نخلةً
نجماً ، وتحمل ناقةً

قمراً ، وتبتكر الصّحارى ،

صحراء ـ نرجسها يغوصُ ، يعوم في تيه المرايا
متكسّراً :
صوراً يراقصها ويبكيها ويرسم وجهه
فيها ، يُفتّتت بعضُه بعضاً ،
يُجنُّ بهذه الصّور ـ الشّظايا
نَسَجَ النّهارَ بليله
حلماً أحبُّ لكي يُضيءَ ، لكي يموت/ ونرجسٌ
هذي البقايا
لا ، ليس نرجس غير طَيْفٍ
لا ، ليس هذا الطّيفُ غيرَ بكائه
صحراء تلتهِمُ الفضاءَ ، وليس نرجس غيرَ قبْرٍ ـ

هوذا أراه ، كما روت أحلامُه
نسيَ الطّريقَ إلى سُلافةِ مائهِ ، نسيَ الكلاما ،
هوذا أراه متوّجاً بِسرابِه
أعطى لأطراف السّماء يديهِ ، مِن تَعبٍ ، وناما .

الولد الراكض في الذاكرة

قَوسُ رَيْحانٍ عريشٌ من حَمامٍ
والشَبابيكُ رمت أبوابَها
ليدِ الرّيحِ / الحقولْ
قريةٌ من سَعَفِ النَّخْلِ ومن حِبْرِ الفُصولْ .

غضبُ الرَّعْدِ ولُطف الغَيْم فيها ربّياني
قريةٌ تسهر في سِروالِها
ويبوحُ التّين والتّوت بما تخجلُ منه الشَفتانِ .

في أعالي شَجَرِ النَّخْلِ نمت ذاكرتي
هودا السَمّاق نجْنيه وهيّأنا البقولْ
ونقول التّابِلُ الطَّيبُ لن ينقصنَا هذي العشيَّهْ
هودا يحتضِن النِّسرينَ طِفْلُ
كي يردَّ الورْدُ لِلْوَرْدِ التحيّهْ .
في أعالي شجرِ النَّخْلِ نَمتْ ذاكرتي

إنه النّرجسُ يأتي حافياً
ما الذي يشغلهُ
والرّفيقُ العشب يعطيني ذراعيه وأُعطيه قميصي
وتغطّينا يدا زيتونة
ليَ في دفتريَ الأخضر شبّاكٌ وفي الأزرقِ وَعْدٌ
ليَ في محفظةِ الشّمس كتابٌ...

في أعالي شَجرِ النّخلِ نَمت ذاكرتي
نبعُ صَفْصافٍ، بُكاءٌ
أتُرى أسمع للجنّ عَزيفاً
أمْ هيَ الأغصانُ موسيقى؟ تَرنّمْ
أيّها الصّفصافُ وامنحنيَ أن أصغي إليكْ
أن أرى وجهيَ مرسوماً عليكْ
هاجساً يَقرأ صوتَ الماء في صمت الحَجَرْ
ودماً يكتبُ/ في أوراقِه
مَطرٌ يمشطُ أغصانَ الشّجَرْ.

هَبَطَتْ ذاكرتي
مِن أعالي شجرِ النّخلِ / سلاماً
لِلصّديق الولد الرّاكِضِ في ذاكرتي
لم يَزُرْني اليومَ لم يُومِئ إليّ

مثلَما عَوَدني ـ أسْلمتُ وجهي
لِمراياهُ : مَنِ الضَّائعُ مِنَّا؟
ومَنِ الصَّامِتُ والنَّاطِقُ؟ غامَت
شفتاهُ ـ أتُراهُ ساكِنٌ في شفتي؟

أيُّهذا الولَدُ الرَّاكض في ذاكرتي
جُرحيَ النَّازف يَسْتعصي ولكن
جسدي يَنمو ويزهو
فأنا والبحرُ في الموت سواءْ
وأنا قبْرة الحزْنِ أنا ذِئْبُ الفرَحْ
أيّها الطَّالعُ من هذا الفضاءْ
أنتَ جرحٌ آخرٌ ينزفُ أم قوسُ قُزَحْ؟

هبطَتْ ذاكرتي
مِن أعالي شَجر النَّخْل / سلاماً
يا شبيهي الولدُ الرَّاسِبُ في ذاكرتي
أنت مَن يَجمح في نَبْضيَ أم أنتَ الحريقْ؟
وسلاماً أيّها الطّيفُ الصَّديق
عشْتَ محمولاً على نَرْدٍ وسمَّيتَ القمر
فَرَساً حيناً وحيناً فارساً
كانت الشمس تؤاخيك وتبني

معكَ البيتَ الذي تبنيه من قَشٍّ وتلهو
بالحصى مثلَكَ/ لو تعطينيَ الآنَ يَديكْ . . .
وسلاماً
أيّهذا الشّجر المائلُ في ذاكرتي
أأنا نُطقكَ أم صمتكَ أوْ ما تنقلُ الرّيح إليكْ
مِن غُبار الشّجر الآخرِ؟ لَو تعطينيَ الآنَ يديكْ
لو يقول الأُفُق السّاهرُ في ليل رؤاكَ السّاهره
ما الذي تَمَخّضُ في غابةِ أيّامي رياحُ الذّاكره . . .

في أعالي شجر النّخل نمت ذاكرتي
لم أكن أعرفُ أنّ الجسدَ العاشِقَ مرسومٌ بمنقارِ سنونو
لم أكن أعرفُ أنّ الحبَّ لا يعرفه إلاّ الجنونُ

لِمَن النّجمةُ تُرخي شعرَها
وتلاقيها إلى البَيْدرِ أفراسُ التّعَبْ
بين عينيها طريقٌ ويداها
خيْمَةٌ . . .

حقّاً؟ خُذيني
. . . / حوضُ أحزانٍ وماءُ اللّيلِ/ غُصْنا
واقتسمْنا قمرَ الماء ، يقيناً
تحلم النّجمةُ أن تسكنَ بيتاً مِن قَصَبْ .
(بيروت ، أيار ، 1982)

شطح

لِملائِكَ من فضّةٍ ورصاص
لِرِمالٍ تجرّ جلابيبَها الذّهبيّةْ
تتَهاوَى وتنشجُ في قَفص الأبجديّه ، ـ

ـ إنّها أرضهُ الرّئةُ النّازِفَةْ
مثلما يفقد النّهر مجراهُ ، والبرقُ
شعلته الخاطِفَةْ
وأراها تَنامْ
غيرَ أنّي أواجهُ هذي الصّحارَى كأنّي فجرُ الكلامْ
وأقولُ بلا دهشةٍ
زمَنٌ شَهْوةٌ وأرامِلُ من معدنٍ
والمكانُ انشقاقٌ

ـ دائماً كان هذا المكانُ انشقاقاً
وخرائطَ من طُحلبٍ وغبارٍ ،
دائماً كان هذا المكانْ

يَتكسّرُ في قبضتينْ
مِن حصارٍ وفَتْكٍ . . .

غيرَ أنّي أُواجه هذا المتاهَ كأنّيَ فجرُ الكلامْ
وأقولُ بِلا دهشةٍ
ظَهرتْ نجمةٌ أكَلتْها
نملةٌ
وأُكرِّر أنّ الدّخانْ
عُرْسٌ للرِّياحِ ـ اقْبَلي ما تَبقَّى
مِن دمي : وَرْدتينْ ـ
قَلَقي وحنيني
وَانْسجي يا رياحُ مناديلَكِ الخفيّهْ
منهما ، ولتكن باسْمنا تحيّه
للرّحيلِ وأطلالِه العَربيّهْ .
وأقول بلا دهشةٍ
وَطَنٌ بعضُ ظَنٍّ ، وهو الآنَ . . .
ـ لا تتفوّهْ
أتُرى ضَلّلَتْكَ الرّؤى أم جُنِنْتْ؟
وهو الآنَ مقبرةٌ : شُرَطيٌّ
مِن حديدٍ ، وَوَأْدٌ ، ومِن أين أنتْ؟

لوعبرتَ هنا أو هناك الحدودْ

ورأيتَ الذين يتوقونَ لِلنّورِ يُطْوَوْنَ طَيَّ الثيابِ ويُرمَوْنَ في

دركاتِ الظّلامْ

لَتمنّيتَ ألاّ يعود الكلامْ

غيرَ هَدْمٍ ونارٍ

ولَمزّقتَ هذي الخرائطَ هذي البنودْ

ولَجدّفْتَ مثلي

وظَنّ بعضُ ظَنٍّ...

وأقول بلا دهشةٍ

ألملايين خضراء والصّوت منها ومنها الصّدى

وأنا ذِئبُ هذا المدى

وحديَ الهالك المتخبّطُ لا كوكبٌ لا هُدَى

ضائعٌ بين حَقْلٍ وحَقْلٍ

أتقرّى عروقَ النباتِ وأسأل عن زَهْرَةٍ أختَها

وأقول بلا دهشةٍ

وانِتني يا زمانَ التّعبْ

صِرتُ أهوى الجلوسَ إلى صَخْرَةِ المستحيلْ

مثلَ طِفْلٍ يحبّ الرّحيلْ

في الفضاءِ على صَهْوةٍ مِن قَصَبْ.

ـ لا تقولوا : هروبٌ ويأسٌ
تَهربُ الرّيحُ كي تحضنَ الأرضَ
واليأسُ يفتح أبوابَه الملكيّةْ
لانفجار المداراتِ ، قولوا : نذيرٌ
واسمعوا الشّاهدَ المُغطّى
بجذوعِ النخيلْ
واقرأوا الشّاهِدَ المُدوّنَ بالتّمْرِ والزّنجَبيلْ
في صحائِف إسْتَبْرَقٍ . . .
وأقولُ بلا دهشةٍ للنّدى
هل رأيتَ المكانَ خبرتَ الحقولْ
بَشَرٌ هؤلاء الذين يُعطّونَها أم بُقُولْ؟
هكذا أتجرأ أن أعشقَ النّدى
وأُغنّيه ، ـ يَجْري كأنّ السّحَرْ
شفتاه
ويَفضّ حقائبهُ كالرّسائلِ بين غصون الشّجَرْ
ما الذي حملتْهُ يداكَ؟ لِمن يكتب الأفْقُ أسرارَهُ؟
والطّريقُ الذي يَتطاوَلُ في شِفتَيْكَ ـ دَمٌ آخَرٌ ،
أم بريقٌ يغامِرُ ، أم شاعِرٌ يُحْتَضَرْ؟

وأقول بلا دهشة
عَجَبي أنني لم أُشَيِّخْ

عَجبي أنَّ هذا الحطامْ

لم يَزِدْنيَ إلاّ بهاءً، ــ

ــ هي ذي وَرْدَةٌ تتشهّى

بين أحضانِهِ

ــ هيَ ذي تتوهّجُ نيرانُهُ المُطْفأَة

وأنا الآنَ طِفْلٌ كأنَّ القمر

عَرَقٌ في خطايَ/ بلا دهشة أقولْ

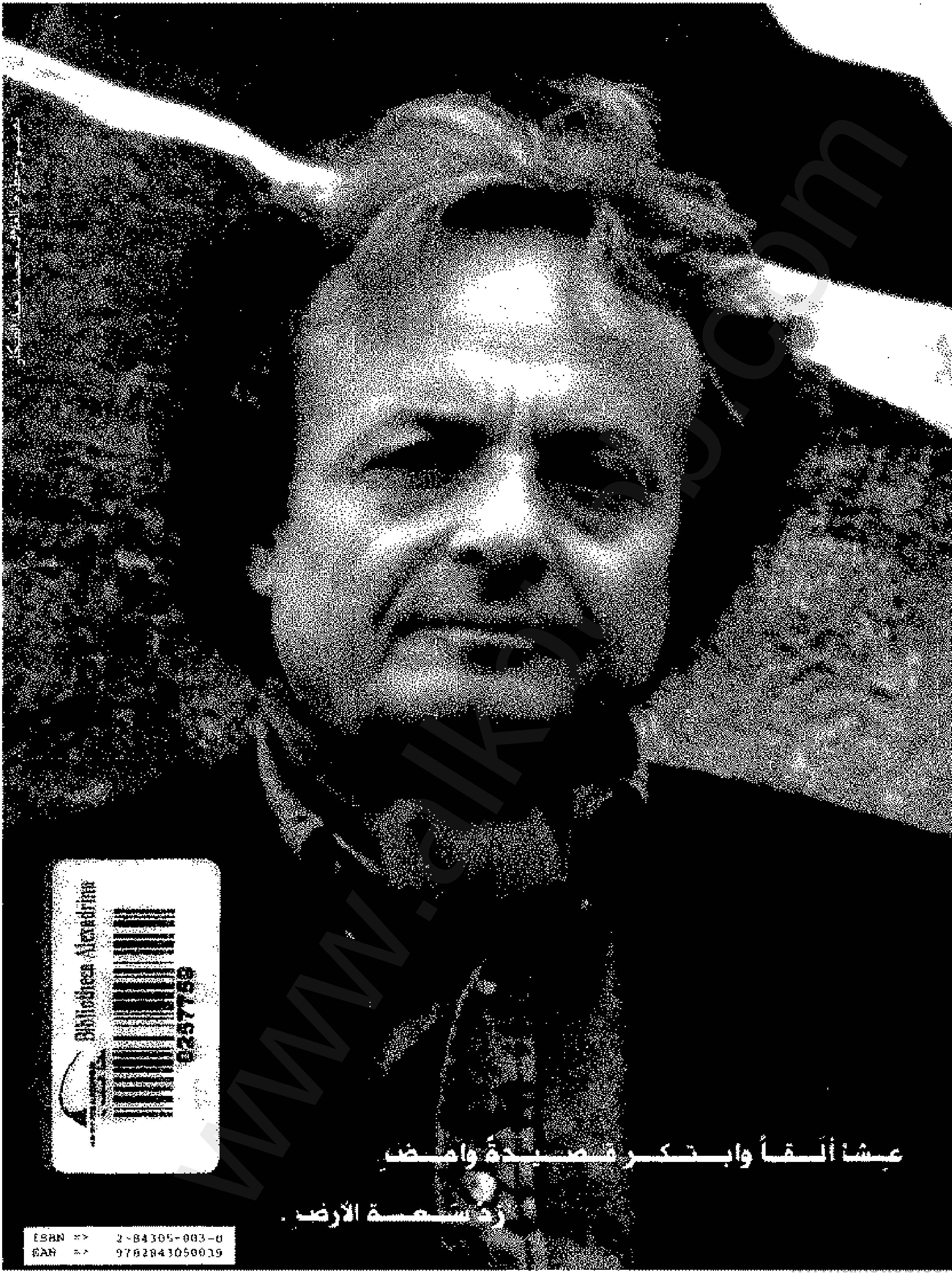
لي هوايَ ولي سَكْرةٌ لا تزولْ

والحروف نساءٌ تُوَشْوِشني ما تُحبُّ وأمْنَحُها شَطَحَاتي

وتَقِيّاً من الوَهْمِ أَجْهرُ هذي حياتي

شَرَرٌ وخيولٌ من الضّوءِ تَفْلِتُ مِن عربات الصُّوَرْ .

الفهرست



ISBN => 2-84305-003-0
EAN => 9782843050039

To: www.al-mostafa.com